الأربعون

في

توصيف خيل الرحمن

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمَن أراد طبعَه لتوزيعه مجاناً بعد مراجعةِ

دار التربية الهادفة

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧م

دار التربية الهادفة

للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان ـ بيروت ـ سوق الروشة الجديد ـ الطابق الأول

هاتف: ٢٧٠ ٨١٤ ٣ (٩٦١+)

واتس: ٢٧٠ ٨١٤ ٧١ (٩٦١+)

البريد الإلكتروني: info@dartarbiya.com

الموقع الإلكتروني: www.dartarbiya.com

الأربعون في توصيف خيل الرحمن

جمع وترتيب
علي بن عبد الله بن علي المسند

دار التربية الهادفة
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أَمَّا بَعْــد: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيــثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْــرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِى النَّارِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ عملَنا كلَّه صالِحاً، واجعلْه لوجهِك خالِصاً، ولا تَجْعَل فيه لأحَدٍ غيرِك شيئاً.

ثم أما بعد:

قال الله ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣٠ ـ ٣٢].

وقالَ رســولُ اللهِ ﷺ: «**الْخَيْلُ فِــي نَوَاصِيهَا الْخَيْــرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

الخيلُ.. ومــا أدراكَ ما الخيلُ... وَقَدْ ذكرَها اللهُ سُــبْحانَه في

كتابِه في عِدَّةِ مواضعَ؛ فذكرَ الصافنــاتِ الجيادَ التي أَخَذَتْ بِلُبِّ سيدنا سُــلَيْمان حتى أحبَّها وشَــغِفَ بها؛ ولم لا؟ فهي الجمالُ والخُيَلاءُ والزَّهْوُ.

قالَ تعالــى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦].

وجمالُ الخيلِ وروعتُها مِنْ جمالِ الخِلْقَةِ وهو مَرْئِيٌّ بالأَبْصارِ مُوافِقٌ للبصائر، وَمِنْ جمالِها كثرتُها وقولُ الناسِ إذا رَأَوْها هذه نَعَمُ فُلانٍ.

وَقَدْ قدَّمَ اللهُ جمالهَا حالَ الرواح لأنها إذا راحتْ تَوَفَّرَ حُسْنُها وَعَظُم شَأْنُها وتعلَّقَتْ بها القلوبُ؛ ولهذا قدَّمَ الرواحَ على السراحِ لسرورِ النفسِ بها إذ ذاك.

وللعربِ منذُ الجاهليةِ اهتمــامُ خاصٌ بالغٌ بالخيل؛ فلم تكنِ العربُ تصونُ شيئًا من أموالها ولا تُكْرِمُهُ صيانَتَها الخيلَ وإكرامَها لها لِما كانَ فيها من العزِّ والجمالِ والمُتْعَةِ والمَنَعَةِ والقوةِ.

حتى إنّ الرجلَ من العربِ يَبيتُ طاويًا ويُشْــبِعُ فَرَسَهُ ويؤثِرَهُ على نفسِه وأهلِه وولدِه فيسقيه المحضَ ويشربونَ الماءَ القُراحَ.

بل وتجدُ مِنَ العربِ مــن يُعَيِّرُ بعضُهم بعضًــا بإذالة الخيلِ وهُزَالِها وسوءِ صيانتِها، ويذكرونَ ذلك في أشعارِهم.

بل وكانوا يُحبُّونَ خيولَهم حُبًا عَجيبًا حتى قيلَ إن عنترةَ كانَ يُحِبُّ فَرَسَهُ أكثرَ من عَبْلةَ.

فالفرسُ أَشْبَهُ الحيوانِ بالإنسانِ لما فيه من الكرمِ وشرفِ النفسِ وعلوِّ الهِمَّةِ.

وفي طَبْعِ الفرسِ الزهوُ والخيلاءُ والسرورُ بنفسِه والمحبةُ لصاحبِه.

ومِنْ أخلاقِه الدالةِ على شرفِ نفسِه وكرمِه أنه لا يأكلُ بقيةَ علفِ غيره.

وهذا كتابُ «**الأربعونَ في توصيفِ خيلِ الرحمن**».

أردنا أن نحييَ به ذكرَ الخيلِ وقد صارَ في هذا الزمانِ شيءٌ من الاهتمامِ بها ولكن على غيرِ مرادِ الشرعِ بل لأجلِ الدنيا من التجارةِ والمسابقاتِ للجمالِ والعَدْوِ وغيرِه.

فإنَّ مِنْ سنَّةِ النبيِّ ﷺ أشياءَ كثيرةً مهجورةً لم يهتمَ بها الكثيرُ من الناسِ، وعلى العبدِ الربانيِّ أن يبحثَ عن مثلِ هذه السننِ لأنها تعودُ عليه بالنفع والخير والأجر في الدنيا والآخرة؛ فعندما يهتمُ العبدُ الربانيُّ بالطِّيبِ مثلًا اقتداءً بالنبي ﷺ يشعرُ باختلافٍ كبيرٍ في الحياةِ لبركة الاقتداء والتأسي.

قَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَــنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَــنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْــدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**» [رواه مسلم].

وإن العناية بالخيل ومعرفة قيمتها وأهميتها وفضلها من هذه السـنن المهمة المهجـورة، والتي قد نُسـيتْ بسـببِ الحضارةِ التكنولوجيةِ الموجودةِ الآن، وقد كان رسولُ الله ﷺ يهتمُّ بالخيل إهتمامًا خاصًا بالغًا.

وقد أكد الفقهـاءُ أن الدابةَ من ضروريات الحياةِ ليسـت من الأمورِ الترفيهيةِ، ومعلومٌ أن اللهَ ﷻ قد اصطفى مِنْ خَلقِهِ أشـياءَ كثيرةً، فاصطفى من الناسِ الرسلَ، واصطفى من الأيامِ يومَ عَرَفة، واصطفى من الشـهور الأشـهرَ الحرمَ ورمضانَ، حتى إن اللهَ ﷻ اصطفى من الـدوابِّ الخيلَ لتكونَ عزًا وفخـرًا وزينةً وبركةً كما سيأتي تفصيلُهُ.

فأردنا أن نـردَّ الأمرَ إلى نصابِـه وأنْ يعودَ الحـقُّ إلى أهلِه بتوصيفِ خيل الرحمن، والتفريقِ بينها وبين خيلِ الشـيطانِ وقد جاءَ ذلك في السُّنَّةِ واضحًا جليًا.

فهذه الأحاديثُ الأربعـونَ نصوصٌ صحيحةٌ صريحةٌ واضحةٌ في تحريرِ خيلِ الرحمنِ مما شابها في أوصافِها أو شأنِها.

وهو هديةٌ لكلِّ محبٍّ للهِ ورســـولِه يريدُ تحريرَ النيةِ في تربيةِ خيلِه، يريدُ بذلك التقربَ إلى اللهِ ﷻ واحتسابَ الأجرِ.

وقد آثرنا أن نُتْبِعَ كلَّ حديثِ بشرحٍ بسيطٍ مبسطٍ سهلٍ مختصرٍ ليكونَ توضيحًا لأفكارِنا ومرادِنا من هذا الكتابِ وهو مِنْ نقولاتٍ مِنْ شروحِ سلفنا الصالحِ بتصرُّفٍ يسيرٍ ليكونَ أسهلَ في توضيحِ المرادِ وتحديدِ الهدفِ.

وفي النهايةِ نسألُ اللهَ أن ينفعَ به ويجعلَه عَوْنًا على طاعةِ اللهِ...

المؤلف

❊ ❊ ❊

الاهتمام بالخيل في القرآن والسُّنَّة

أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخيل ووصفها فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ١ ـ ٤].

أقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت، وهو الصوت الذي يُسمع من الفرسِ حين تعدو.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: يعني اصطكاك نعاليها للصخر فتقدح منه النار.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحًا.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: يعني غبارًا في مكان معترك الخيول.

وقد اهتم النبي ﷺ بالخيل خاصًا من بين الدواب لما فيها من خيرًا كبير وفضل عظيم.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**الْخَيْلُ معقود فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، ومعنى عقد الخير بنواصيها أي: ملازمته لها كأنه معقود فيها.

وأنشد أبو عمر بن عبد البر في التمهيد لابن عباس رضي الله عنهما:

أَحِبُّوا الْخَيْلَ وَاصْطَبِرُوا عَلَيْهَا
فَإِنَّ الْعِزَّ فِيهَا وَالْجَمَالَا
إِذَا مَا الْخَيْلُ ضَيَّعَهَا أُنَاسٌ
رَبَطْنَاهَا فَشَارَكَتِ الْعِيَالَا
نُقَاسِمُهَا الْمَعِيشَةَ كُلَّ يَوْمٍ
وَنَكْسُوهَا الْبَرَاقِعَ وَالْجِلَالَا

وقد ذكرها الله عز وجل في القرآنِ تسعَ مراتٍ، منها:

* * *

الآية الأولى

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤ ـ ١٥].

هذهِ الآيةُ الكريمةُ نصٌّ كريمٌ في أن الخيلَ المسومَةَ منْ زينةِ الدنيا، وهي مِنَ الشهواتِ المباحةِ، أما المسومَةُ فقد قال الإمامُ الطبريُّ رَحِمَهُ اللهُ في التفسيرِ: معنى»المسوَّمة» على أربعةِ أقوالٍ:

الأول: هي الراعيةُ.

فعن سعيدِ بنِ جبيرٍ: «الخيلُ المسوّمَةُ»، قال: الراعيةُ، التي تَرْعَى.

الثاني: وقالَ آخرونَ «المسوّمة»: الحِسانُ.

قال مجاهد «المسوّمة»: المُطهَّمةُ.

وعن بَشيرٍ بن أبي عمروٍ الخَوْلانيِّ قال: سألتُ عكرمَةَ عن «الخيلِ المسوّمةِ» قال: تَسويمُها، حُسنُها.

الثالث: وعن ابنِ عباسٍ: «والخيلِ المسوّمةِ» يعني: المعلَّمةُ.

الرابع: وقال ابنُ زيدٍ: «والخيلِ المسومةِ»، قال: المعدّةِ للجهادِ.

قال أبو جعفر الطبري: وأولىَ هذهِ الأقوالِ بالصوابِ في تأويلِ قولهِ: «والخيلِ المسوّمةِ»، المعلَّمةُ بالشِّياتِ، الحسانُ، الرائعةُ حسنًا مَنْ رآها؛ لأن «التسويمَ» في كلامِ العربِ: هو الإعلامُ، فالخيلُ الحسانُ مُعلَمةٌ بإعلامِ اللهِ إياها بالحسنِ مِنْ ألوانِها وشِياتِها وهيئاتِها، وهي «المُطهَّمة» أيضًا.

والمعنى: أن الله فطر الناس على حب هذه الشهوات السِّتَّة المبينة في الآية؛ والتي منها الخيل المسومة، ومن زُيِّنَ له حبُّ شيءٍ فإنه لا يكاد يرجعُ عنه إلا بجهد جهيد، خاصة إذا كان معنى المسومة هي التي تسوم المراعي والمروج بدون كلفة على صاحبها إلا الرعي بها في أماكن السوم، وهي الخيل السائمة كما في الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، فهي متاعٌ خالص، تفيده بنتاجها ولا تكلفه شيئًا إلا الرعي.

أو تكون من الخيل المعلمة، وهي لا تكون غالبًا إلا للأغنياءِ والعظماءِ متاعًا يتنافسون فيه ويتفاخرون.

فســبحان من ذكَّر في متاعها أنه ســبحانه عنده حسنُ المآب وإليه المنقلب لئلا نفتن بالمتاع الدنيوي الزائل.. نسألك اللهمَّ أن تجعلنا من أهل الجنة.

❊ ❊ ❊

الآية الثانية

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والرِّباطُ: اسمٌ للخيلِ التي تربطُ في سبيلِ اللهِ.

وهذه الصفة في الحقيقةِ هي السببُ الرئيس لتعظيمِ أمرِ الخيلِ وإعلاءِ شأنِها وهو: أهميتها في الجهاد في سبيل الله.

وهذا هو الفرقُ الحقيقيُّ الواضحُ الحادُّ في التفريقِ بين خيلِ الرحمنِ وخيلِ الشيطانِ.

فخيلُ الرحمنِ حدُّها المحدودُ:

قال رسول الله ﷺ: «**الخيلُ معقودٌ في نواصِيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ**».

شَرطُها الدقيقُ:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ ارتبطَ فرسًا في سبيلِ اللهِ فهو كالباسطِ يديهِ بالصدقةِ لا يقبضُها**».

وواضحةٌ بالتحديدِ:

في حديثِ رسول الله ﷺ: «**الخَيلُ ثلاثَةٌ؛ فهي لرجلٍ أجرٌ، ولرجلٍ سترٌ، ولرجلٍ وزرٌ**».

وستأتي إنْ شاء اللهُ هذهِ الأحاديثُ كلُّها بشرحِها.

المقصودُ هنا أن الخيلَ إنما تُمدحُ وتحبُّ وتُستحبُّ عندما تكونُ مربوطةً في سبيلِ اللهِ، يجري إعدادَها للغزوِ في سبيل الله.

أما إذا كان من جهةِ المالِ والمظاهرِ والتكاثرِ:

فقد قال النبي ﷺ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ في أَهْلِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالْفَدَّادينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكينَةُ في أَهْلِ الْغَنَمِ**».

فالخيلُ هي الخيلُ... لكنَّ القلوبَ تختلفُ، ومرادات القلوبِ تتباينُ تبعًا لنيةِ صاحبها فيها، وأعمالُ القلوبِ مِنْ أُصولِ الإيمانِ وقواعدِ الدين.

وبالنيةِ في تربيةِ الخيلِ يتفاوتُ الأجرُ، حتى يصير بين الرجلِ وصاحبِه كما بينَ السماءِ والأرضِ.

اللهمَّ أصلحْ نياتِنا وقلوبِنا وأحوالَنا وأعمالَنا..

❊ ❊ ❊

الآية الثالثة

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۞ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٩ ـ ٦٠].

قال الإمامُ البَغَويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير:

قَوْلُهُ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ يَعْنِي: رَبْطُهَا وَاقْتِنَاؤُهَا لِلْغَزْوِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْقُوَّةُ: الْحُصُونُ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ: الْإِنَاثُ.

وَرُوِيَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرْكَبُ فِي الْقِتَالِ إِلَّا الْإِنَاثَ لِقِلَّةِ صَهِيلِهَا.

وَعَنْ أَبِي مُحَيْرِيزٍ قَالَ: كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يَسْتَحِبُّونَ ذُكُورَ الْخَيْلِ عِنْدَ الصُّفُوفِ وَإِنَاثَ الْخَيْلِ عِنْدَ الْبَيَاتِ وَالْغَارَاتِ.

والرباطُ: اسمٌ للخيلِ التي تُربطُ في سبيلِ اللهِ.

ويجوزُ أنْ يسمَّى بالرباطِ الذي هو بمعنى المرابطةِ.

وعن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سئل عمنْ أوصَى بثُلُثِ مالِهِ في الحصونِ؟ فقال: يشتري به الخيلَ، فترابطُ في سبيلِ اللهِ ويُغزى عليها.

وقال ابن عَطِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما كانتِ الخيلُ هي أصلُ الحروبِ وأوزارُها، والتي عُقِدَ الخيرُ في نواصيها، وهي أقوى القوةِ وحصونُ الفرسانِ؛ خصَّها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالذكرِ تشريفًا.

• ورِباطِ الْخَيْلِ جمعُ رَبْطٍ، ولا يكثرُ ربطُها إلا وهي كثيرةٌ، فكأنَّ ارتباطَ الخيلِ واتخاذَها يفعلُه كلُّ واحدٍ لفعلِ آخرَ له فيُرابطُ المؤمنونَ بعضهم بعضا. فإذا رَبَطَ كلُّ واحدٍ منهم فرسًا لأجلِ صاحبِهِ فقد حَصَلَ بينهم رباطٌ، وذلك الذي حُضَّ في الآيةِ عليه، وقد قال ﷺ: «**مَنِ ارتبطَ فرسًا في سبيلِ اللهِ فهو كالباسطِ يدهُ بالصدقةِ لا يقبضُها**».

وتُرْهِبُونَ معناه: تُفْزِعون وتُخوِّفون.

• وفي قوله «ترهبون به»: جعلَ اللهُ في الخيلِ التي هي من أهمِّ أسبابِ القوةِ رهبةً في صدورِ العدوِّ، فهي تقذفُ الرعبَ في قلوبِ الكفارِ، وتذهبُ بالرعبِ من صدورِ المؤمنينَ.

• وفي تفسير القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

وَرِبَاطُ الْخَيْلِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَمَنْزِلَةٌ شَرِيفَةٌ، وَكَانَ لِعُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ سَبْعُونَ فَرَسًا مُعَدَّةٌ لِلْجِهَادِ. وَالْمُسْتَحَبُّ منها الإناث، قاله عِكْرِمَةُ

وَجَمَاعَةٌ، وَهُوَ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ الْأُنْثَى بَطْنُهَا كَنْزٌ وَظَهْرُهَا عِزٌّ، وَفَرَسُ جِبْرِيلَ كَانَ أُنْثَى. وَلكن رَوَى الْأَئِمَّةُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وِزْرٌ» الْحَدِيثَ. وَلَمْ يَخُصَّ ذَكَرًا مِنْ أُنْثَى.

فَأَجْوَدُهَا أَعْظَمُهَا أَجْرًا وَأَكْثَرُهَا نَفْعًا. وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (أَغْلَاهَا ثَمَنًا وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا)، وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ رضي الله عنه ـ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ ٨ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَارْتَبِطُوا الْخَيْلَ، وَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا وَأَكْفَالِهَا وَقَلِّدُوهَا، وَلَا تُقَلِّدُوهَا الْأَوْتَارَ، وَعَلَيْكُمْ بِكُلِّ كُمَيْتٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ أَوْ أَشْقَرَ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ أَوْ أَدْهَمَ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ**» [صحيح أبي داود: ٢٥٥٣].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَدْهَمُ الْأَقْرَحُ الْأَرْثَمُ [ثُمَّ الْأَقْرَحُ الْمُحَجَّلُ] طَلْقُ الْيَمِينِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشِّيَةِ**». [أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح (١٦٩٦) في صحيح الترمذي].

وَرَوَاهُ الدَّارِمِيُّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أَيْضًا، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ فَرَسًا، فَأَيُّهَا أَشْتَرِي؟ قَالَ: (**اشْتَرِ**

أَدْهَمَ أَرْثَمَ مُحَجَّلًا طَلْقَ الْيَدِ الْيُمْنَى أَوْ مِنَ الْكُمَيْتِ عَلَى هَذِهِ الشِّيَةِ تَغْنَمُ وَتَسْلَمُ)» [أخرجه الإمام أحمد (٢٢٥٦١) وقال الأرناؤوط: حديث حسن].

وَكَانَ ﷺ يَكْرَهُ الشِّكَالَ مِنَ الْخَيْلِ، وَالشِّكَالُ: أَنْ يَكُونَ الْفَرَسُ فِي رِجْلِهِ الْيُمْنَى بَيَاضٌ وَفِي يَدِهِ الْيُسْرَى، أَوْ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى وَرِجْلِهِ الْيُسْرَى، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ كَانَ يَكْفِي، فَلِمَ خَصَّ الرَّمْيَ وَالْخَيْلَ بِالذِّكْرِ؟ حيث فسر النبي ﷺ القوة في الآية بالرمى وقال: «**ألا إن القوة الرمي**» [رواه مسلم]، وحيث قال الله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ فذكر الرمي والخيل.

قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْخَيْلَ لَمَّا كَانَتْ أَصْلَ الْحُرُوبِ وَأَوْزَارَهَا الَّتِي عُقِدَ الْخَيْرُ فِي نَوَاصِيهَا، وَهِيَ أَقْوَى الْقُوَّةِ وَأَشَدُّ الْعُدَّةِ وَحُصُونُ الْفُرْسَانِ، وَبِهَا يُجَالُ فِي الْمَيْدَانِ، خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا، وَأَقْسَمَ بِغُبَارِهَا تَكْرِيمًا، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]. وَلَمَّا كَانَتِ السِّهَامُ مِنْ أَنْجَعِ مَا يُتَعَاطَى فِي الْحُرُوبِ وَالنِّكَايَةِ فِي الْعَدُوِّ وَأَقْرَبِهَا تَنَاوُلًا لِلْأَرْوَاحِ، خَصَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالذِّكْرِ لَهَا وَالتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ عُلَمَائِنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى جَوَازِ وَقْفِ الْخَيْلِ وَالسِّلَاحِ، وَاتِّخَاذِ الْخَزَائِنِ وَالْخُزَّانِ لَهَا عُدَّةً لقتال الأعداء.

* * *

الآية الرابعة

قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٠ ـ ٣٣].

وهنا آياتُ وصفِ جمالِ الخيلِ وسحرِها للقلوبِ، فقد أخذتْ بلبِّ سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى شُغِفَ بها، وانشغل بها عما هو أهم منها.

وفي وصف الله لها بـ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ شرفٌ لها وفخرٌ وأيُّ فخرٍ.

قال الإمامُ الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير:

والصافناتُ: جمعُ الصافنِ من الخيلِ، والأنثى: صَافِنَةٌ، والصافِنُ منها عند بعض العرب: الذي يجمعُ بين يديه، ويُثني طَرْفَ سُنبكِ إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمعُ يديه.

عن مُجاهدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ قال: صُفُون الفرس: رَفْع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر.

قال: الخيل والبغال والحمير تَصْفِن، والصَّفْن: أن تقوم على

ثلاث، وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرفُ الحافرِ على الأرض، والصفون يختص به عِتاقُ الخيل.

وأما الجياد فجمعُ جواد، وهو الخيارُ، إن استُوقِفَتْ سكنَتْ، وإن ركضَتْ سبقَتْ وقيلَ: إنها السِّراع، واحدها: جواد.

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجياد: قال: السِّراع.

❊ ❊ ❊

الآية الخامسة

• قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١ ـ ٥].

في قَسَمِ اللهِ هنا بالعادياتِ وهي: الخيلُ وتوالي أوصافِها تعظيمٌ لأمرِ الخيلِ وتشريفٌ؛ يُقسمُ اللهُ تعالى بخيلِ المعركةِ ويصفُ حركاتِها واحدةً واحدةً منذُ أن تبدأَ عَدْوَها وجريَها ضابِحةً بأصواتها المعروفةِ حين تجري، قارعةً الصخرَ بحوافرِها حتى تُورِيَ الشررَ منها، مغيرةً في الصباحِ الباكرِ لمفاجأةِ العدو، مثيرةً للنقعِ والغُبارِ حتى تتوسطَ صفوفَ الأعداءِ على غِرّة.

والقسمُ بالخيلِ، وتفصيلُ حركاتِها؛ فيه إيحاءٌ قويٌّ بِحُبِّ هذهِ الحركاتِ والنشاطِ لها بعد الشعورِ بقيمتِها في ميزانِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[خيول النبي ﷺ]

وقد كَانَ لرسول الله ﷺ عشرَةُ أَفْرَاسٍ:

١ ـ الْسَّكْبُ: وَهُوَ أولُ فرسٍ ملكهُ ﷺ وَأولُ فرسٍ غزا عَلَيْهِ، اشْتَرَاهُ من أَعْرَابِيٍّ من بني فَزَارَة بعشرةِ أواقٍ، وَكَانَ تَحْتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ اسْمُهُ عِنْد الْأَعرَابِيِّ الضّرسَ أي: الصعب السيء الخلُق،

فَسَماهُ النبي ﷺ السَّكْبَ تشـبيهًا بسكب الماء وسرعة السيل لأنه كان كثيرَ الجري سريعَه، وَكَانَ أغرَّ محجلًا طلقَ الْيَمينِ.

٢ ـ **الثَّانِي: المُرتَجِزُ:** اشْـتَرَاهُ من أَعْرَابِيٍّ من بني مرّةَ وَجحدَ الْأَعرَابِيُّ، وَقَالَ: من يشْهدُ بذلك؟ فَشهد لَهُ خُزَيْمَةُ بنُ ثَابت، فَقَالَ كَيفَ تشهدُ على مَا لم تحضرْه؟ فَقَالَ: نصدقُكَ فِي خبرِ السَّمَاءِ وَلَا نصدقُكَ فِيمَا فِي الأَرْض؟! فَسَـماهُ ﷺ: ذَا الشَّـهَادَتَيْنِ، وسُمِّيَ المُرْتجِزَ لحُسْنِ صهيلِهِ، أو شُبِّه بارتجازِ الرَّعدِ؛ وهو صوتُ الرعدِ المتتابعُ.

٣ ـ **الثَّالِث: لِزازٌ:** من قولهم: لازَزْتُهُ؛ أي: لاصَقْتُه، كأنه يلتزقُ بالمطلوب لسـرعته، وقيلَ: لاجتماع خَلْقِه؛ واللـزاز: المجتمعُ الخَلْقِ، الشديدُ الأسْرِ؛ وقد أهداه لَهُ الْمُقَوْقس، وَكَانَ يُعجبهُ ويركبه فِي أَكثر غَزَوَاته.

٤ ـ **الرَّابِـع: اللخيف (وقيل بالحاء):** أهداه لَـهُ ربيعَةُ بن أبي الْبَـراء فأثابه عَلَيْهِ فَرَائـض من نَعَمِ (أنعام) بني كلاب، وسُـمي اللحيف بالحاء لطولِ ذَنَبِهِ (ذيله) كأنه كان يَلْحَفُ الأرضَ بذنبِه، أي: يُغطيها.

٥ ـ **الْخَامِس: الظَّرِبُ:** أهداه فَرْوَة بن عَمْرو الجذامي، والظرب: الجبل الصغير، أو الربوة العالية.

٦ ـ **السَّادِس: الْورْد:** أهداه لَهُ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ فَأَعْطَاهُ عُمرَ فَحمل عَلَيْهِ فِي سَبِيل الله، والوَرْدُ: من أسماء الأسد.

٧ ـ **السَّابع: الصَّرِمُ**؛ سمي به لصرامته، أي: حدته.

٨ ـ **الثَّامِن: مــلاوح:** وَكَانَ لأبي بُرْدَة بن نِيــار، وهو العظيم الألواح؛ أي: عظامه، الســريع العدو، وقيل: لكثرة الضرب بذيله يمينًا وشمالا.

٩ ـ **التَّاسِع: سُبْحَة:** وَكَانَ قد جَاءَ سَــابِقًا، فسبح عَلَيْهِ، فَسُمي سبْحَة، وهو الذي أعطاه لعُمر.

١٠ ـ **الْعَاشِر: الْبَحْر:** اشْــتَرَاهُ من تجار قدمُوا من الْيمن، فَسبق عَلَيْهِ ثَلَاث مَرَّات، فَمسح ﷺ وَجهه وَقَالَ (مَا أَنْت إِلَّا بَحر).

والخلاصةُ أن تربيــةَ الخيلِ والاعتناءَ بهــا ـ إذا صاحبته نيةٌ صالحة ـ قد ينال بها العبدُ أجرًا كبيرًا جداً، ولا يقولُ قائلٌ: بماذا ننتفع بها وقــد مضى زمانُها؟ وهــذا خطأٌ؛ لأن النبــيَّ ﷺ أخبرَ بعودتِها مِنْ جديدٍ، فكما أن هناك حضــاراتٍ كثيرةً ذهبَ اللهُ بها ـ بعدما بلغت ما بلغت من تقدم وقوة ـ لا يستطيع العلمُ الحديثُ أن يكتشــف أســرار هذه الحضارات؛ فكذلك قــد تختفي هذه الحضارة والتي اغتر بها الناسُ ثم يعود الناس إلى أصل ما كانوا عليه من الحاجة للخيل والسيف والرمح والدرع.

فقد جاء في الحديث عن يُسَيْرِ بنِ جابرٍ رضي الله عنه ، قال: هاجتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفةِ، فجاءَ رجلٌ ليس له هِجِّيرَى إلا قال: يا عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ جاءتِ الساعةُ قالَ: فقعدَ، وكان مُتّكئاً فجلس، فقال: (إنْ الساعةَ لا تقومُ حتى لا يقسمَ ميراثٌ، ولا يُفرحَ بغنيمةٍ، ثم قال بيده هكذا ـ ونحّاها نحو الشام ـ فقال: عدوٌّ يجمعونَ لأهلِ الإسلامِ ويجمعُ لهم أهلُ الإسلامِ؛ قلت: الرومَ تعنِي؟ قال: نعم، وتكونُ عندَ ذاكُم القتالِ ردةٌ ـ رَدَّة معناها: عطفَةٌ قوية ـ شديدةٌ، ويشترطُ المسلمونَ شُرْطةً ـ أي: طائفةٌ من الجيشِ تتقدم للقتالِ ـ للموتِ لا ترجعُ إلا غالبةً، فيقتتلونَ حتى يحجزَ بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاءُ وهؤلاءُ كلٌّ غيرُ غالبٍ، وتفنَى الشُّرطَةُ، ثم يشترطُ المسلمونَ شرطةً للموتِ لا ترجعُ إلا غالبةً، فيقتتلونَ حتى يحجزَ بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاءُ وهؤلاءُ كلٌّ غيرُ غالبٍ، وتفنَى الشُّرطةُ، ثم يشترطُ المسلمونَ شرطةً للموتِ لا ترجعُ إلا غالبةً، فيقتتلونَ حتى يُمسُوا، فيفيءُ هؤلاءُ وهؤلاءُ كلٌّ غيرُ غالبٍ، وتفنى الشرطةُ، فإذا كانَ اليومُ الرابعُ، نَهَدَ «أي: نهض» إليهم بقيةُ أهلِ الإسلامِ، فيجعلُ اللهُ الدَّبرةَ عليهم ـ الدَّبرةَ معناها: الهزيمة ـ فيقتلونَ مقتلةً إما قال: لا يُرى مثلها، وإما قال: لم يُرَ مثلها، حتى إن الطائر ليمر بِجَنَباتِهِمْ ـ أي: نَواحِيهم ـ فما يخلفهم ـ أي يجاوزُهم ـ حتى يخرَّ ميتاً، فيتعادَّ بنو الأبِ، كانوا مِأْئةً، فلا يجدونَ بَقِيَ مِنْهُم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأيِّ غنيمةٍ يفرحُ؟

أو أي ميراثٍ يقاســمُ؟ فبينما هم كذلك، إذ سَمِعُوا ببأسٍ هو أكبرُ من ذلك، فجاءهم الصَّرِيــخُ أن الدَّجالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فــي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ ما في أيديهم، ويُقْبِلونَ، فيبعثون عَشْــرَةَ فوارسَ طليعةً، قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْــرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْــرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**» [صحيح مسلم (٢٩٠١)].

وكذلك إشارة النبي ﷺ في قوله: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فالخيل باقية إلى يوم الدين يلازمها الخير والمنفعة والبركة.

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: عليكم بإناث الخيل، فإن بطونها كنز، وظهورها حرز.

الخَيرُ مَا طَلَعَتِ الشَّــمْسُ وَمَا غَربَتْ
مُعَلَّــقٌ بِنَوَاصِــي الخَيــل مَعْقودُ

* * *

الباب الأول

ما جاءَ في أهمية تحديدِ النيةِ من رَبْطِ الخيلِ

الحديث الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ**» [رواه البخاري (٧٣٥٦) واللفظ له، ورواه مسلم (٩٨٧)].

في الحديث فضل اقتناء الخيل والمرابطة في سبيل الله.

قال الإمامُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في فتــحِ الباري: إن المرءَ لا يؤجرُ فى اكتسابِها لأعيانِها، وإنما يؤجرُ بالنيةِ الخالصةِ في استعمالِ ما وردَ الشرعُ بالفضلِ في عملهِ؛ لأنها خيلٌ كلها، وقد اختلفَ أحوالُ مُكتَسِبيها لاختِلافِ النياتِ فيها.

وفيه: أن الحسناتِ تُكتبُ للمرءِ إذا كان له فيها سببٌ واصلٌ، تَفضُّلًا مِــنَ اللهِ على عبــادِهِ المؤمنينَ؛ لأنه ذَكَرَ حَــرَكاتِ الخيلِ وتقلبَها ورعيَها وروثَها وأن ذلك حسناتٌ للمجاهدِ.

والطِيَلُ: الحبلُ الذي تربطُ به الدابةُ، ويقال له: طولٌ أيضًا.

والمَرْجُ: الأرضُ الواسعةُ ذات النبات، ومَرْعًى للدوابِّ.

ومعنى الكلام: أن فــرسَ المجاهدِ ليمضي علــى وجهِهِ في الحبلِ الذي أطيلَ له فُيكتبُ لصاحبه بذلك حسنات.

وقوله: (استنتْ شرفًا أو شرفين) والاستنانُ: أن تأخذَ فى سَنَنٍ على وجهٍ واحدٍ ماضيًا، أي: الجري والعدو شَــوْطًا أو شــوطين، والشرفُ: ما ارتفع من الأرض.

وفيه: ترغيبٌ في اقتناءِ الخيلِ والاعتناءِ بها وأن يُحْرِزَ المسلمُ نيةً صالحةً في ذلك يُؤجرُ عليها.

أما إذا كانتْ نيتُه التكَرُّمَ بها والتجمُّــلَ والقنية والانتفاعِ من جَرَّائِها؛ كانتْ له سِتْرًا.

وإنما الحذرُ من اقتنائِها فَخْرًا ورياء وكِبْرًا فتكونُ وزرًا، وفي الحديثِ اختلافُ أحوالِ مكتسبيها لا ختلافِ النياتِ فيها.

ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها: استدل به أبو حنيفة على الزكاة في الخيل، ورُدَّ بأنه يحتمل أن يكون المراد بذلك الحمل عليها في سبيل الله.

* * *

الحديث الثاني

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخَيْلُ ثلاثةٌ: فَفَرَسٌ للرَّحْمَنِ، وفرسٌ للشيطانِ، وفرسٌ للإنسانِ، فأمَّا فرسُ الرحمنِ فالذي يرتبطُ في سبيلِ اللهِ؛ فعلفُه وروثُه، وبوْله في ميزانِهِ، وأمَّا فرسُ الشيطان فالذي يُقَامِرُ أو يُرَاهِنُ عليه، وأما فَرَسُ الإنسانِ فالفرسُ يرتبطُها الإنسانُ يلتمسُ بطنها فهي سِتْرٌ من الفقرِ**». [رواه أحمد (٣٧٤٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢١) وصححه الألباني صحيح الجامع (٣٣٥٠)].

في الحديثِ تَقْسِيمٌ للخَيْلِ وأَنْوَاعِها تَبَعًا لنية صاحبها في اقتنائها وكذلك في أي شيء، ولأي شيء يستخدمها.

فأعظمُها وأفضلُها ما نَسَبَه النبيُّ ﷺ للرحمنِ «فرسٌ للرحمنِ» نسبةَ تشريفٍ وتكريمٍ؛ لأنه فرسٌ يستخدمُه صاحبُه في سبيلِ اللهِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، والمرابطةِ على ثغور الإسلام للحماية ولفتح البلاد ودعوتها للإسلام، فيكون ذلك الفرس نفقتهُ ومقدارُ عَلَفِهِ في ميزان حسناته، وكذلك مقدار بوله وروثه.

أما «فرسُ الشيطان» فهو الذي للمقامرة والمراهنة؛ وهو أن يَسْتَبِقَ اثنانِ فأكثرَ فيجعلوا بينهم جُعلًا لِمَنَ سَبَقَ، وفيه تحريمُ القمارِ والمراهنةِ.

وأما الثالثُ «ففرسُ الإنســانِ» الذي يتاجر في نسله ويرتفق ببيع نتاجها، فذلك الفرس يحولُ بينه وبين الفقر؛ كما يحول السترُ بين الشيء وبين الناظرين.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني

ما جاء في فضلِ تربيةِ خَيْلِ الرَّحمٰنِ وعِظَمِ الأجرِ في ذلك

الحديث الثالث

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَانًا بِاللهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [رواه البخاري رقم (٢٨٥٣)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في الفتح:

فِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ وَقْفِ الْخَيْلِ لِلْمُدَافَعَةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُسْتَنْبَطُ مِنْهُ جَوَازُ وَقْفِ غَيْرِ الْخَيْلِ مِنَ الْمَنْقُولَاتِ وَمِنْ غَيْرِ الْمَنْقُولَاتِ.

وَقَوْلُهُ: وَرَوْثَهُ، يُرِيدُ ثَوَابَ ذَلِكَ لَا أَنَّ الْأَرْوَاثَ بِعَيْنِهَا تُوزَنُ، وَفِيهِ أَنَّ الْمَرْءَ يُؤْجَرُ بِنِيَّتِهِ كَمَا يُؤْجَرُ الْعَامِلُ، وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِذِكْرِ الشَّيْءِ الْمُسْتَقْذَرِ بِلَفْظِهِ لِلْحَاجَةِ لِذَلِكَ.

وَقَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ: يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا لِتَنْصِيصِ الشَّارِعِ على أَنَّهَا فِي ميزانة بِخِلَافِ غَيْرِهَا فَقَدْ لَا تُقْبَلُ فَلَا تَدْخُلُ الْمِيزَان.

وروى ابن مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ مَرْفُوعًا: «**مَنِ ارْتَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ عَالَجَ عَلَفَهُ بِيَدِهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ حَسَنَةٌ**» [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٧٩١].

قول رسول الله ﷺ: «**مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا**»، فكأنَّ هذا الفرسَ وقفٌ للهِ تعالى؛ محبوسةٌ على هذهِ الشروطِ الثلاثةِ:

١ ـ في سبيلِ اللهِ.

٢ ـ إيمانًا باللهِ.

٣ ـ تصديقًا بوعدِ اللهِ.

ويالها من شروطٍ خطيرةٍ! فليستْ كلُّ خيلٍ يطلقُ عليها خيلُ الرحمنِ أو في سبيل الله إلا بهذه الشروط الثلاثة؛ ثم الأجر بعد ذلك عظيم عميم؛ فكلُّ حركاتِ هذا الفرس وسكناته وأحوالِهِ، حتى فضلاته كلُّ ذلك في ميزانٍ يَرجَحُ بالذرةِ يومَ القيامةِ، فَياله مِن شَرَفٍ، ويالها مِنْ منزلةٍ!

فالمرابطة بالخيل واحتباسها في سبيل الله من شُعبِ الإيمان،

والأجر تبعٌ للنية أن يكـــون «**إيمانًا بـــالله**»، أي: خالصًا لله تعالى وامتثالاً لأمره.

وقولـــه «**تصديقًا بوعـــده**» وهو الأجـــر المترتـــب على هذا الاحتباس للخيل، فكأنه يقول: يارب صدقتَ فيما وعدتني، فهو مصـــدق بخبر الله عن الثـــواب في الدنيا فعمـــل لأجله، ويصدق ربه ﷻ في الآخرة حين يعاين ثوابه.

* * *

الباب الثالث

رَبْطُ الخيلِ في سبيل اللّهَ يعدِلُ صدقةً مستمرةً

الحديث الرابع

عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَبَاسِطِ يَدِهِ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا**» [رواه أحمد (١٧١٧٠) وأبو داوود (٤٠٨٩) وقال الألباني: حديثٌ حسنٌ (في صحيح الجامع رقم ١٩٦٤)].

المرادُ بقولِهِ: «**المُنفِقُ على الخَيْلِ**» أي: في الجهادِ وفي غيرِ الجهادِ، يَعني: في تهيئةِ الخيل للجهاد في سبيل الله تعالى، ففي تهيئتها للجهادِ وفي إعدادِ الخيل للجهادِ كذلك هو إنفاقٌ عليها؛ لأن بقاءها والتمكُّنَ من الاستفادةِ منها إنما هو بصيانتِها، والاعتناء بها، والإنفاقِ عليها، والإحسانِ إليها، وتدريبها حتى يُستفادَ منها عند الحاجة إليها، وليسَ بلازمٍ أن يكونَ الإنفاقُ وقتَ الجهادِ فقطْ.

وفيه: أنَّ الإنفاقَ عليها لسبب غيرِ كونها في سبيل الله ليس فيه أَجرٌ.

ولا شك أن في إعدادِ العدةِ وتهيئتِها والمحافظةِ عليها أجراً عظيماً.

ثم إن الخيل وإن كانت زينةً وترفيهًا وثروةً إلا أن مصاريفها كثيرة وتكاليفها كثيرة جدًا؛ ولا يحتملُ ذلك الا كريمٌ محبٌ لها، يقدِّرُ هــذه الثروةَ التي هي ســعادةُ الدنيا والآخــرةِ، فالكرمُ في إكرامِها، والســعادةُ في الإنفاقِ عليها، والبذل لها وعدم البخل، واليقينُ بخبر الله وموعوده بالثواب يدفعُ صاحبَ الخيلِ والقائمَ عليها لكلِّ ذلكَ؛ إذ كلُّ هذا ســيكونُ صدقةً مقبولةً نافعةً له يوم القيامة، لأن الخيــرَ معقودٌ في نواصيها إلى يــوم القيامة... خير الدنيا والآخرة.

❊ ❊ ❊

الحديث الخامس

عن تَميمٍ الداريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ارتَبطَ فرسًا في سبيلِ اللهِ، ثمَّ عالَجَ علفَهُ بيدِهِ، كانَ لَهُ بِكُلِّ حبَّةٍ حسَنةٌ**» [رواه ابن ماجه (٢٧٩١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٦٨)].

الرباط: ملازمةُ الثغور

وارتبط فرسًا في سبيل الله: أي: احتبسها وأعدَّها للجهاد، أو الحفاظ على ثغور المسلمين.

ويعالج علفه بيده: أي يقوم على خدمة إطعامه، وتنقية علفه وتهيئته وتقديمه للفرس بيده

وعند أحمد في المسند (١٦٦١٣) من حديث تميم أيضًا: «**ما مِن امرئٍ مسلمٍ يُنَقِّي لفرسه شعيرًا، ثم يُعَلِّقُهُ عليه، إلا كَتَبَ اللهُ له بكل حبةٍ حسنة**». [أحمد (١٦٦١٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٩)].

لذلك كان تميمًا رضي الله عنه يخدم فرسَه بنفسه ابتغاءَ هذا الأجرِ، رغم وجود مَنْ يكفيه العملَ مِنَ الغلمانِ.

وفي الحديث مزيد العناية والاهتمام بالخيل، وتوقيفها في

سبيل الله، وتفضيل الخيل على سائر الدواب؛ لأنه ﷺ لم يروَ عنه في غيرها مثل هذا الفضل؛ في القيام على خدمتها بنفسه، وإكرامها والعناية بها بنفسه.

❊ ❊ ❊

الباب الرابع

رَبْطُ الخيلِ يجمعُ بين خَيْرَيْ الدنيا والآخرة

الحديث السادس

عَنْ عُـــرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِـــيِّ ﷺ قَالَ: «**الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَـــةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ**»

[متفق عليه، رواه البخاري (٢٨٥٢) ومسلم (١٨٧٥)].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى:

الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ رَبَطَهَا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ احْتِسَـــابًا كَانَ شِبَعُهَا وَجُوعُهَا وَرِيُّهَا وَظَمَؤُهَا وَأَرْوَاثُهَا في ميزانِ حســـناتِه؛ بل فيه عِزُّ الدنيا بالمغنمِ، وعزُّ الآخرةِ بالأجرِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ الَّذِي فُسِّـــرَ بِالْأَجْرِ وَالْمَغْنَمِ اسْتِعَارَةٌ لِظُهُورِهِ وَمُلَازَمَتِهِ، وَخَصَّ النَّاصِيَةَ لِرِفْعَةِ قَدْرِهَا، وَكَأَنَّهُ شَـــبَّهَهُ لِظُهُورِهِ بِشَيْءٍ مَحْسُـــوسٍ مَعْقُودٍ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ فَنُسِبَ الْخَيْرُ إِلَى لَازِمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَذَكَرَ النَّاصِيَةَ تَجْرِيدًا لِلِاسْتِعَارَةِ.

وَالْمُرَادُ بِالنَّاصِيَةِ هُنَا: الشَّعْرُ الْمُسْتَرْسِلُ عَلَى الْجَبْهَةِ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالُوا: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَنَّى بِالنَّاصِيَةِ عَنْ جَمِيعِ ذَاتِ الْفَرَسِ كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ مُبَارَكُ النَّاصِيَةِ.

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَفْتِلُ نَاصِيَةَ فَرَسٍ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، وَيَقُولُ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ**» [رواه النسائي، وقال الألباني: صحيح].

فَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ النَّاصِيَةُ خُصَّتْ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا الْمُقَدَّمَ مِنْهَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْإِقْدَامِ بِهَا عَلَى الْعَدُوِّ دُونَ الْمُؤَخَّرِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْإِدْبَارِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هُنَا جِنْسَ الْخَيْلِ أَيْ أَنَّهَا بِصَدَدِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا الْخَيْرُ، فَأَمَّا مَنِ ارْتَبَطَهَا لِعَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ فَحُصُولُ الْوِزْرِ لَطَرَيَانِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَارِضِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَالَ الَّذِي يُكْتَسَبُ بِاتِّخَاذِ الْخَيْلِ مِنْ خَيْرِ وُجُوهِ الْأَمْوَالِ وَأَطْيَبِهَا، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْمَالَ خَيْرًا، كما في القرآن: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وَقَالَ ابن عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ الْخَيْلِ عَلَى

غَيْرِهَا مِنَ الدَّوَابِّ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَنْهُ ﷺ فِي شَـــيْءٍ غَيْرِهَا مِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ من الْخَيل.

وفيه إشارة إلى بقاء نوع الخيل إلى يوم القيامة، ولعله كذلك إشـــارة إلى الطائفة المنصورة التي يقاتل آخرهم الدَّجَّال، ومنهم الفوارس العشرة الذين سبق ذكرهم.

❊ ❊ ❊

الحديث السابعُ

عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**البَرَكَةُ في نَوَاصِي الخَيْلِ**» [رواه البخاري (٢٨٥١) ومسلم (١٨٧٦)].

وفي هذا الحديث نَصٌّ على حصول البركة في هذه الخيل المباركة، والبَرَكَةُ: النماءُ والزيادةُ.

والبركة إنما هي من الله؛ لا تحصل إلا منه سبحانه وتعالى، وقد أنزل الله البركة في أشخاصٍ وفي أماكنَ وفي أشياءَ ومنها: الخيلُ، وهذا تعظيمٌ لقدرها. والبركةُ مطلوبةٌ، والبحث عنها والتماسها مندوب إليه محبوب، ولايكون التماس البركة إلا فيما ذَكَرَ اللهُ أو ذكر رسولُه ﷺ أن فيه البركةَ، ومجردُ طلبِها تَحْصُلُ به البركةُ لأنه سعي فيما يحب اللهُ عز وجل ورسولهُ ﷺ.

- وفي الحديث النصُّ على أن البركة في ناصية الخيل، فَيُردُّ على من قال في حديث الخيل معقود في نواصيها الخير: «احتمال أنه كنَّى بالناصية عن جميع الفرس».

وهو يعارض حيث: «**الشؤم في المرأة والفرس**»، والبركة فيها: إصابة الغنائم على ظهورها، أو إصابة النتاج من بطونها.

ـ ولا بد من شـــيء محـــذوف يتعلق به المجـــرور، والتقدير ما ورد في رواية أخرى: «البركة تنزل في نواصي الخيل».

ويحتمـــل أن الخيـــل التـــي فـــي ســـبيل الله والمرابطة هي المخصوصة بالخير والبركة، فيحتمل أن الشؤم الآتي ذكره في غير الخيـــل المرابطـــة والله أعلم، وســـيأتي تفســـير الشـــؤم وحديثه والمقصود به في حديثٍ قادمٍ إن شاء الله تعالى.

* * *

الباب الخامس

ما جَاء أَنَّ الخَيْلَ أَفْضَلُ الأَمْوَالِ

الحديث الثامن

عن سَــوادةَ بن الربيعِ رضي الله عنه: أتيتُ النبــيَّ ﷺ، وأمر لي بِذُوْدٍ، قال لي: «**مُرْ بَنِيكَ أَنْ يقُصُّوا أَظَافرَهُم عَنْ ضُرُوعِ إبلِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ، وقُلْ لَهُمْ: فلْيحْتلِبوا عليها سِــخالَها، لا تُدْرِكُها السَّنَةُ وهي عِجافٌ، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، لِي مالٌ وخَيْلٌ وَرَقِيقٌ، قَالَ: عَلَيْكَ بالخيلِ فارتبطْها، الخيلُ مَعْقُودٌ في نَوَاصِيها الخيرُ**». [مسند أحمد (١٦٠٠٣) وحسنه الأرنؤوط، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٥٣١٢) واللفظ له، وقال الألباني في السلســلة الصحيحة (٥٧٢/٤) إسناده جيد].

في قول النبي ﷺ: «**عليكَ بالخيلِ**» وصيته التي لا ينبغي أن نفارقها؛ وخصوصًا أن رسول الله ﷺ بَيَّنَ السببَ فقال: «**معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ**».

عليك بالخيل: وصية مشددة، أي: الزم.

فارتبطها: يعني اجعلها رباطًا وثبِّتها ولا تفارقها ولا تتخلَّ عنها ولا تتخلص منها ولا تستغن عنها، من الربط والإمساك والاحتفاظ.

معقود: كأن الخير قد رُبِطَ في نواصيها (مقدمةِ رؤوسِها) لا يفارقُها، فهو مَفْتولٌ مَرْبوطٌ في شعرِ ناصيتِها لا يفارقُها.

الخَيْرُ: الألف واللام للاستغراق فقد عاد إليها وصار بها ورافقها ووافقها والتزم بها كلُّ خيرٍ من كل أنواعه... خَيْرَيْ الدنيا والآخرة، فهي خيرُ المالِ في الدنيا، وخيرُ الثوابِ في الآخرة.

وإن كان النبيُّ ﷺ أعطاه الذود وهي الدواب ما بين الثنتين إلى التسع/ أو ما بين الثلاث إلى العشر، إلا أنه أوصاه فقال «عليك بالخيل» أي: الزمها، والسبب ذلك الخير العميم العظيم الذي يرافقها وتلك البركة التي تلازمها.

فارتبطها: قد يكون المراد المرابطة والرباط في سبيل الله.

الخير: فسره في حديث آخر بالأجر والمغنم.

وسوادة: قال البخاري له صحبة وليس من مشاهير الصحابة، والربيع هي أمه.

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا
وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الخَيْرُ يُعْقَبُ

* * *

الباب السادس

رُتبةُ الخَيْلِ بَعْدَ المَرْأَةِ في زينَةِ الدُّنْيَا

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ؛ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؛ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ:

يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»

[رواه مسلم (١٠٥٥)].

قوله: «**أَيْ فُلْ**» ترخيم كلمة فلان، أي: يا فلانُ.

لا شك أن الخيلَ من النِّعمِ العظيمةِ على العبادِ، ولذلك امتنَّ اللهُ في هذا الحديثِ على عبدهِ بنعمةِ الخيلِ، وقَدَّمها على الإبل تقديم تعظيمٍ وفضلٍ وشرفٍ فقال: «**وأسخر لك الخيل والإبل**»، وقدمها كذلك في القرآن على دوابِّ الركوبِ فقال: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨]، والنِّعَمُ كُلُّها إما مِنَّةٌ، وإما حُجَّةٌ، وهذا الحديثُ يوضحُ أن من لم يؤدِّ حقَّها، ويستعملُ النعمةَ فيما خُلقتْ له حاجَجَه اللهُ بها يومَ القيامةِ وأقام عليه حجتَه بها.

فإذا تَلَهَّي الإنسانُ بالخيلِ وأَنْسَتْهُ ذكرَ اللهِ بالانشغالِ بها في غيرِ طاعةٍ ولم يُؤَدِ حقَّ اللهِ فيها ولم تَحْسُن نيته في ربطها ولا خدمتها كانت عليه حجةً يوم القيامةِ.

ودلالة ترجمة البابِ من الحديث أن الله قدمَّ نعمة الزواج أولًا «ألم أزوجك» وَثَنَّى بعدها بنعمة الخيل، فهما من النعم العظيمة التي تستوجب الشكر.

وَشُكْرُ النعمةِ يقوم على ثلاثة أركان:

١ ـ الاعتراف بها باطنًا.

٢ ـ التحدث بها ظاهرًا.

٣ ـ صرفها واستعمالها واستخدامها في شكر المُنْعِمِ سبحانه وفي عبادته.

فلا بد من الاعتراف باطنًا وظاهـرًا أن الخيل نعمة، ومداومة الشكر عليها، واسـتعمالُها في طاعة الرحمن وطلب مرضاته هو شكرها.

والمرأة والخيل عند العرب وعند الناس من أهم عوامل الراحة في الحياة والرغد والسعادة، حتى إن الرجل كان يدخل في الإسلام زمن النبي ﷺ فإن وَلَدَتْ زوجتُه ونُتِجَتْ دابتُه تفاءلَ وفَرِح وقال هذا دين خير فثبت على الإسـلام، وإن كان عكس ذلك تشـاءم بالإسلام وارتد.

فعلامة الخير عندهم في الزوجة والخيل.

ورؤية نعمة الله على العبد، مع تقصيره في حق الله تورثه حياءً من الله ﷻ، والحياء كله خير.

اللهمَّ اجعلنا شاكرين لنعمك، مثنين بها عليك، عاملين بها في مرضاتك.

وَقُلْتُ لِقَوْمِي أَكْرِمُــوا الخَيْلَ إِنَّنِي
أَرَى الخَيْل قَدْ ضَمَّتْ إِلَيْنَا الأَقَاصِيَا

❊ ❊ ❊

الحديث العاشر

عن أنس بـــنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: لم يكنْ شـــيءٌ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ بعد النساء ـ من الخيل. [رواه النسائي في السنن الكبرى (٤٣٨٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨١٣)].

وها هنا حبُّ رسول الله ﷺ للخيل، والمحبون لرسول الله ﷺ يحبون ما يحبُّ، فحبُّ الخيلِ سُنَّةٌ، وإكرامُها سُنَّةٌ، والإهتمامُ بها سُـــنَّةٌ، وإصلاحُها والحرصُ عليها ســـنة، وإعدادُها لما خلقتْ له وتهيئتُها وتدريبُها سنة.

فارتباطُ الخيلِ في سبيل اللهِ والاعتناء بها والإنفاق عليها من لوازم حب النبي ﷺ لمن كان له اهتمام في هذا الأمر.

وعن مَعْقِل بن يَسَـــارٍ رضي الله عنه قـــال: لم يكن شـــيء أحب إلى رسول الله من الخيل؛ ثم قال: اللهم غُفْرًا.. لا؛ بل النساء.

قال الطِّيبـــي: ذكر الخيل هنا كناية عـــن الغزو والجهاد في سبيل الله.

وفي الحديث تفضيل الخيل على سائر الدواب.

ولئلا يتوهـــم أحدٌ أن النبـــي ﷺ كان مائلا لمعاشـــرة أربابِ

الخدور ومشتغلا بهن عن معالي الأمور، أردف أنسٌ رضي الله عنه بقوله: «من الخيل».

ليُعلمَ بأنه مع حبه للنساء مقدامٌ بطلٌ في الكرِّ والفرِّ، مجاهدٌ لأعداء الله كما كَمَّل ﷺ في الحديث الآخر بقوله: «**وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة**»، ولم يذكر الخيل فيه لأنها من الدين: وقد قال ها هنا في أوله «**حُبِّبَ إلى من دنياكم**».

فإن قلت فقد ذكر الصلاة أيضا.. قلنا لم يذكرها معطوفة وإنما ابتدأها جملة جديدة فقال:

«**حُبَّبَ إليَّ من دنياكم النساءُ والطِّيْبُ، وجُعِلَتْ قرةُ عيني في الصلاةِ**» فتأمل والله أعلم.

❊ ❊ ❊

الباب السابع

استحبابُ رَبْطِ الخَيْلِ العَرَبِيِّ، وَدُعَاءِ الفَرَسِ لِصَاحِبِهِ

الحديث الحادي عشر

عنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلَّا يُؤْذَنُ لَهُ عِنْدَ كُلِّ سَحَرٍ بِدَعْوَتَيْنِ: اللَّهُمَّ خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ بَنِي آدَمَ، وَجَعَلْتَنِي لَهُ، فَاجْعَلْنِي أَحَبَّ أَهْلِهِ، وَمَالِهِ إِلَيْهِ أَوْ مِنْ أَحَبِّ مَالِهِ وَأَهْلِهِ إِلَيْهِ**» [رواه النسائي في السنن الصغرى، وأحمد (١٧٠/٥)، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٤١٤)].

«مَا مِنْ فَرَسٍ» يقع على الذكر والأنثى، (عَرَبِيٍّ) هذا يدلّ على أن هذا الدعاءَ خاصٌّ بالفرسِ العربيِّ، وهذا سرٌّ لا يعلمه إلا اللهُ تعالى، ويُحتملُ أن يكونَ المرادُ اختصاصَ هذا الدعاءِ باللفظِ العربيِّ، فلا ينافي أن يدعوَ العجميُّ باللغةِ العجميةِ.

«**إِلَّا يُؤْذَنُ لَهُ، عِنْدَ كُلِّ سَحَرٍ**» بفتحتين: الوقت الذي قُبيل الصبح، وبضمّتين لغة، والجمع أسحارٌ، ولفظ «السنن الكبرى»: «**عند كلّ فجرٍ**».

«**بِدَعْوَتينِ**» أي: بمرّتين من الدعاء، «**اللَّهُمَّ خَوَّلْتَنِي**» بتشديد الواو، من التخويل، وهو التمليك، «**مَنْ خَوَّلْتَنِي**» أي: ملّكتني من شئت أن تملّكه إياي من الناس، «**فَاجْعَلْنِي أَحَبَّ أَهْلِهِ**» هذه هي الدعوة الأولى، وأما جملة «**اللَّهمّ خولتني...**» فهي تمهيد للدعوتين، «**وَمَالِهِ إِلَيْهِ**» وهذه هي الدعوة الثانية.

وهذا سرُ أن أصحابَ الخيلِ تجدُهم يعشقونَ هذه الخيل ويبالغونَ في تعظيمِها والفخرِ بها، فإن دعاءَ الفرسِ مأذونٌ له فيه حتى إنه كان لأبي ذر الغفاري فرس يحبه حبًا جَمًّا فكان يقول ما أرى فرسي هذا الإ مجاب الدعوة.

تَذَكرتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِد
سِوَى السَّيْف والرُّمْح الرُّدَيْنِي بَاكِيا
وَأَشْقَر مَحْبُوكًا يَجُرُّ عنَانَهُ
إِلَى المَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ المَوْت سَاقِيَا

❊ ❊ ❊

الباب الثامن

ما جاء أن تأديبَ الفرسِ ليس لهوًا ولا سهوًا

الحديث الثاني عشر

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه أو جابرِ بن عُمَيْرٍ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شيءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عز وجل فهو لَهْوٌ أو سَهْوٌ، إلا أَرْبَعَ خِصالٍ: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الغَرَضَيْنِ، وتأدِيبُه فَرَسَهُ، ومُلَاعَبَتُهُ أهلَه، وتعليمُ السِّباحةِ**» [رواه النسائي في الكبرى (٣٠٢/٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٢٨٢)].

الله عز وجل خلقَ الإنسانَ ويعلمُ ما توسوس به نفسه؛ فعلمَ اللهُ حاجتَه لشيءٍ من اللَّهْوِ، فشرعَ اللهُ من رحمته بالعباد شرائعَ يقضي بها العبدُ وطرهَ من اللهو، وذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الأربعَ من اللهو المباح الذي لا إثم فيه ولا غفلة؛ بل هو مُعِينٌ على حقٍّ أو ذريعةٌ إليه.

قال الخطَّابي في معالم السنن: «وفي هذا بيانٌ أن جميعَ أنواعِ اللهوِّ محظورةٌ؛ وإنما استثنى رسولُ اللهِ ﷺ هذه الخِلالَ مِنْ جملةِ ما حرُمَ منها لأن كلَّ واحدةٍ منها إذا تأملتَها وجدتَها مُعينةً على حقٍ

أو ذريعةً إليه ويدخـــلُ في معناها ما كان من المثاقَفَةِ بالســـلاح، والشـــدِّ على الأقدام... ونحوهِما مما يرتاضُ به الإنسانُ فيتوقح بذلك بدنُه ويتقوى به على مجالدةِ العدوِّ.

فأما ســـائرُ ما يتلَّهى بـــه البطَّالونَ مـــن أنواعِ اللهـــوِ كالنَّردِ والشطرنجِ والمزاجلةِ بالحمامِ وسائرِ ضروبِ اللعب مما لا يستعانُ به في حق ولا يُستجمُ به لدرك واجب فمحظورٌ كله».

فالحديث حجةٌ لمن قالوا بأن الأصل أن اللهو كلَّه حرام إلا ما دلَّ الشارع على إباحته ومنه هذه الأربع، والتي منها تأديب الفرس لئلا يكون شموسًا جموحًا.

والمشـــهور أن أول من أدَّبَ الفرسَ ورَوَّضها هو نبي الله ﷺ إسماعيل عليه السلام،

ففي التاريخ أن أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، وكانت الخيل قبل ذلك وحشًـــا، فأخذها وصنعها، فأنســـت وتعلم ولده صنعتها منه، فبقي علمه فيهم، ولهذا اختصت العرب بالمعرفة بها، وهي مما يمتدح بارتباطها، ولذلك تسمى الخيل بـ(العِراب).

ويروى أنـــه ﷺ قـــال: «**اركبوا الخيـــل فإنها ميـــراث أبيكم إسماعيل**»، وذلك أن إسماعيل عليه السلام أول من ركبها على المشهور؛ ولذلك سميت العراب.

وكانت قبل ذلك وحشًا كسائر الوحوش، فلما أذن الله تعالى إلى خليله إبراهيم ونبيه إسماعيل برفع القواعد من البيت قال الله ﷻ: «**إني معطيكما كنزًا ادخرته لكما**»، ثم أوحى الله إلى إسماعيل أن اخرج فادع بذلك الكنز، فخرج إلى أجياد، وكان لا يدري ما الدعاء والكنز، فألهمه الله عزوجل الدعاء، فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته وأمكنته من نواصيها وتذللت له.

* * *

الباب التاسع

ما جَاء في الإحْسَانِ إلى الخَيْلِ

الحديث الثالث عشر

عن يحيى بن سعيدٍ أن النبي ﷺ مَسَحَ وَجْهَ فرسِه وعينيه ومنخريه بِكُمِّ قميصِه ثم قال: «**حبيبي جِبْرِيلُ عَاتَبَنِي فِي الخَيْلِ**». [رواه مالك في الموطأ (٢/ ٤٦٨) مرسلاً، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٨٧)].

يا له من شرفٍ للخيل؛ أن يمسح رسولُ الله ﷺ وجهَ الفرسِ بكُمِّ قميصه أو بردائه؛ فشرُفت الخيلُ بذلك، ومن التواضع العظيم من سيدنا النبي ﷺ أن يمسحَ عيني الفرس ومنخريه بِكُمِّ قميصه، فينبغي للمتسنن ممن عنده خيلٌ أن يفعل ذلك ولا يأنفَ منه فإنه سُنَّةٌ.

ثم قال ﷺ: «**عاتبني حبيبي جبريل في الخيل**» فكأنه عاتبه في امتهانها أو في إهمالها وعدم الاعتناء بها، أو في الانشغال عنها، فمسحَ رسول الله ﷺ عليها إظهارًا للاهتمام بها ومبالغةً في إكرامها، فليفعل ذلك كلُّ محبٍّ لرسولِ الله ﷺ تأسيًا.

وفيه: أهميةُ إكرامِ الخيلِ وعظمُ قدرِها حتى إن جبريل ذكرها وعاتب فيها رسول الله ﷺ وهذا العتاب وَحْيٌ.

وفيه: الاهتمامُ بهـا وإكرامُها وإطعامُها وإشـباعُها وتنظيفُها وتدريبُها وتنميتُها؛ لئـلا تمتهن ويُحْمَلُ عليها المتاع مثلا أو تجر عربةً كما تمتهن البِغالُ والحَمِيرُ، فـإن الخيلَ أفضل منها وأعظم وذلك لما خَصَّ اللهُ بـه الخيلَ من جعلها سـببا للأجر والغنيمة والخير العميم في الدنيا والآخرة والله أعلم.

* * *

الباب العاشر

العِنَايَةُ بالخَيْلِ وربطهاِ في الحائطِ

الحديث الرابع عشر

عن أُبَيِّ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنهم، قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطِنَا فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ اللُّحَيْفُ. [رواه البخاري (٢٨٥٥)].

قَوْلُهُ: «**يُقَالُ لَهُ اللُّحَيْفُ**» يَعْنِي بِالْمُهْمَلَةِ وَالتَّصْغِيرِ قَالَه ابن قرقول، وضبطوه عَن ابن سِرَاجٍ بِوَزْنِ رَغِيفٍ، قُلْتُ: وَرَجَّحَهُ الدِّمْيَاطِيُّ، وَبِهِ جَزَمَ الْهَرَوِيُّ وَقَالَ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِطُولِ ذَنَبِهِ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ؛ وَكَأَنَّهُ يُلْحِفُ الْأَرْضَ بِذَنَبِهِ، وعِنْد ابن مَنْدَهْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ وَالِدِ سَهْلٍ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُسَمِّيهِنَّ: (لِزَازَ) بِكَسْرِ اللَّامِ وَبِزَايَيْنِ الْأُولَى خَفِيفَةٌ، (وَالظَّرِبَ) بِفَتْحِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ بَعْدَهَا مُوَحدَة، (واللخيف)، وحُكِيَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ (اللُّخَيْف) وَقَالَ أَهْدَاهُ لَهُ رَبِيعَةُ ابْنُ أَبِي الْبَرَاءِ مَالِكِ بْنِ عَامِرٍ الْعَامِرِيُّ وَأَبُوهُ الَّذِي يُعْرَفُ بِمُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ.

وهذا من إكرم الخيل أيضًا أن تربط فـــي مربط أو في حائط يعني حديقة أو مزرعة إكرامًا لها ولا تترك هكذا دون ستر أو غطاء.

وفيه: تسمية الفرس.

والحائط هو: البستان من النخل إذا كان عليه جدار، والحائط: الحوش.

وقد روي أن اسمه «اللُّجَيْف» ويراد به السرعة، لأن اللجيف: سهمٌ نصلُه عريضٌ. فكأنه في سرعة السهم انطلاقا.

* * *

الباب الحادي عشر

سنةٌ مهجورةٌ:
الإمساكُ بناصيةِ الفَرَسِ

الحديث الخامس عشر

عنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلْوِي نَاصِيَةَ فَرَسٍ بِإِصْبَعِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ**» [رواه مسلم (١٨٧٤)].

الشرح:

قَوْلُهُ ﷺ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «الْخَيْرُ مَعْقُوصٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ»، وَفِي رِوَايَةٍ «الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ»، الْمَعْقُودُ وَالْمَعْقُوصُ مَعْنَاهُ: مَلْوِيٌّ مَضْفُورٌ فِيهَا، وَالْمُرَادُ بِالنَّاصِيَةِ هُنَا الشَّعْرُ الْمُسْتَرْسِلُ عَلَى الْجَبْهَةِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: قَالُوا: وَكَنَّى بِالنَّاصِيَةِ عَنْ جَمِيعِ ذَاتِ الْفَرَسِ، يُقَالُ: فُلَانٌ مُبَارَكُ النَّاصِيَةِ وَمُبَارَكُ الْغُرَّةِ أَيِ الذَّاتِ، وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ اسْتِحْبَابُ رِبَاطِ

الْخَيْــلِ وَاقْتِنَائِهَا لِلْغَزْوِ وَقِتَــالِ أَعْــدَاءِ اللهِ وَأَنَّ فَضْلَهَا وَخَيْرَهَا وَالْجِهَادَ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وقد تكون الناصية هي محل نزول البركة على الحقيقة كما في الحديث: «**البركة في نواصي الخيل**» [متفق عليه].

وحديث: «**البركة تنزل فــي نواصي الخيل**» قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ عنه في الصحيحة (٣٦١٥) أنه ثَبَتَ في مُسْتَخْرجِ الإسماعِيليِّ.

* * *

الباب الثاني عشر

ما جَاءَ في فُرُوسِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ

الحديث السادس عشر

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَجَدْتُهُ بَحْرًا**» يَعْنِي الفَرَسَ. [(متفق عليه) رواه البخاري (٢٩٠٨) رواه مسلم (٢٣٠٧)].

الشرح:

بَوَّبَ البخاري للحديث: بابٌ: ركوب الفرس العُرْي، قال ابن حجر «العُرْي»: بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ (أي: العين) وَسُكُونِ الرَّاءِ أَيْ: لَيْسَ عَلَيْهِ سَرْجٌ وَلَا أَدَاةٌ، وَلَا يُقَالُ فِي الْآدَمِيِّينَ؛ إِنَّمَا يُقَالُ عُرْيَان؛ قَالَه ابن فَارِسٍ، قَالَ: وَهِيَ مِنَ النَّوَادِرِ.

وَحَكَى ابن التِّينِ أَنَّهُ ضبطَ فِي الْحَدِيثِ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ التَّحْتَانِيَّةِ وَلَيْسَ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ مَا يُسَاعِدُهُ.

وفي رواية أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «اسْتَقْبَلَهُمْ عَلَى فَرَسٍ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ» وَهُوَ طَرَفٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي تَقَدَّمُ فِي أَنَّهُ اسْتَعَارَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ.

وفي رواية: فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ بِغَيْرِ سَرْجٍ.

وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْفُرُوسِيَّةِ الْبَالِغَةِ؛ فَإِنَّ الرُّكُوبَ الْمَذْكُورَ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ أَحْكَمَ الرُّكُوبَ وَأَدْمَنَ عَلَى الْفُرُوسِيَّةِ حتى يركبَ فرسًا يعدو به عَدْوًا من غير سَرْج عليه.

وَفِي الْحَدِيثِ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْفَارِسِ أَنْ يَتَعَاهَدَ الْفُرُوسِيَّةَ وَيُرَوِّضَ طِبَاعَهُ عَلَيْهَا لِئَلَّا تفْجَأَهُ شِدَّة إلا ويكون قد استعدَّ لَهَا.

وفيه أيضًا عِلْم رسولِ اللهِ ﷺ بأحوالِ الخيلِ ووصفها، قال: «**إن وجدناه لبحرا**»، فشبهه بالبحر في سعة وسرعة الجري، وإنما كان الفرسُ قَطُوفًا أي: بطئَ السير، قريبَ الخُطا، فلما ركبه النبيُّ ﷺ أصابتْهُ بركةُ رسولِ اللهِ ﷺ فصار سريعًا، فكان بعد ذلك لا يُجارى.

وقد بوَّبّ البخاري بابٌ: الفرسُ القطوفُ ليبين أن ركوبَهُ ليسَ

فيه كراهةٌ، لأن النبي رَكِبَهُ في مثل هذه الوَقْعِةَ، وشَبَّهه بالبحرِ لأن البَحْرَ لا ينفد ماءوه، والفرسُ هذا كأنه لا ينفد جريُه.

وفيه أيضًا فوق شجاعة رســول الله ﷺ مهارته الفائقة؛ فإنه لا يتسنى لكل أحد أن يركبَ فرسًا عريا بلا سَرْجٍ ولا لجامٍ ثم يسرعَ به ويستطيعَ التحكمَ فيه والإسراعَ به حتى يجدَه بحرًا.

وفيه عظمة رسول الله ﷺ في التواضع والبساطة وعدم التفاخر في ركوبه أي فرس متوفر مهما كان بلا كلفة.

وفيه شجاعته وحرصه على المسلمين أنْ كان هو أول مَنْ فَزِعَ إلى الصوت، ثم استقبلهم يُطَمْئِنُهُمْ ويقول: «**لم تراعوا**».

* * *

الباب الثالث عشر

أَقَلُّ عُدَّةِ الفارِسِ

الحديث السابع عشر

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «استقبلهم النبي ﷺ على فرسٍ عُرْيٍ ما عليه سرج، في عنقه سَيْفٌ». [البخاري (٢٨٦٦)].

دلالةُ الحديثِ على الترجمةِ أن النبي ﷺ لم يكن معه سوى سيفٍ في عنقه، وهو أقل عدة الفارس، لكن لا يغيب عنك أنه استعار فرس أبي طلحة هذا، والفرس من أعظم السلاح وأقواه في زمن النبي ﷺ.

وكان هذا الفرس يسمى «المندوب» ربما لندب فيه وهو أثر جرح.

وفيه شجاعة النبي ﷺ، وجواز استعارة الفرس عموما، واستعارته دون إذن صاحبه للحاجة الطارئة؛ أو ربما علم النبي ﷺ برضاء أبي طلحة بركوب النبي ﷺ لفرسه دونما استئذان منه، وذلك لمصلحةِ مَعْرفة هذه الفزعة التي وقعت بالمدينة، وجواز

الركوب على الفرس بدون سَــرْجٍ، وجواز تقلد السيف في العنق (بحمالته)، وشفقة النبي ﷺ بالمســلمين وخوفه عليهم، كما قال النبي ﷺ في الحديث الثابت: «**إنما أن لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**»، [صحيح أبو داوود: ٦].

بأبي هو وأمي.. ما أرحمه بنا ﷺ !!

اللهم اجمعنا به في الفردوس الأعلى

❊ ❊ ❊

الباب الرابع عشر

تفضيلُ السريعةِ مِنَ الخَيْلِ

الحديث الثامن عشر

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ سبَّقَ بينَ الخيلِ وأعطى السَّابقَ. [رواه أحمد (٩١/٢) وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٥٠٧)].

الشرح:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا سَبَقَ إِلَّا فِي خُفٍّ، أَوْ نَصْلٍ، أَوْ حَافِرٍ**» [أخرجه أحمد (١٠١٣٨) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح].

قال الفقهاءُ: المقصودُ في التحليل والتحريم في السبق واختصاص هذه الثلاثة به أن يكون على مال: الخُفُّ للبعيرِ، والحافرُ للفرسِ، والنَّصْلُ على تقدير: ذي نصل، والمقصود به: «السهمُ، والرمحُ، والسيفُ».

وفي هذا الحديث: «أن النبي ﷺ سَبَّقَ بين الخيل وأعطى

السابق» ندبٌ إلى تعليمِ الخيلِ السرعةَ وتدريبها على القوةِ والإسراع.

سبَّق: أي: أمر أو أباح المسابقة، أعطاه جُعْلا نظير سبقه.

ومعلوم أن المسابقة على مال إن كان المال من جهة الإمام للتحفيز والمكافأة جاز بلا خلاف.

ووقع الاتفاق أيضًا على المسابقة بغير عوض.

ولو بذل العوض أحدٌ خارج المتسابقين صح كذلك.

وذلك كله للتدريب والإعداد والاستعداد الدائم، والتنافس في الخير والطاعات والقربات.

❊ ❊ ❊

الباب الخامس عشر

تَفْضِيلُ القَوِيَّةِ والجَيِّدَةِ مِنَ الخَيْلِ

الحديث التاسع عشر

عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ سبَّقَ بينَ الخيلِ، وفضَّلَ القُرَّحَ في الغاية. [رواه أبو داوود (٢٥٧٧/٢) وأحمد (١٥٧/٢) وابن حبان (٤٦٨٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (٢٥٧٧)].

هذا الحديث في السباق والمسابقة أيضًا وفيه أهمية تدريب وتعويد الخيل على الإسراع لأن هذا يكون أنفع في الحرب حال الكر والفر، وأجدر لتحقيق النصر، والحفاظ على الجند هجوما وانسحابا.

«وفضَّل القُرَّحَ»: جمع قارح؛ وهو: الخيل إذا أتم أربع سنوات ودخل في السنة الخامسة، وهي الجيدة القوية الفتية من الخيل.

(الغاية): الأمد الذي ينتهي إليه السباق.

قوله: «وفضل القُرَّح في الغاية» يحتمل أنه فضل أصحابها فيما

يُعطَى على السـبق، أو أنه وصفها بالفضل على غيرها، وأجمعوا على جواز المسـابقة بغير عوض، وعلى جوازهـا بعوض لكن بشرط أن يكون العوض من غير المتسـابقين؛ إما الإمام أو أحد الرعية.

وفي الحديث دليلٌ على جواز المسابقة بين الخيل، وأنها من الرياضة المحمودة لا مـن العبث؛ لأنه يحصلُ بهـا الانتفاعُ في الحرب عند الحاجة كراً وفراً، وهذا مجمعٌ عليه.

* * *

الباب السادس عشر

المسابقةُ بينَ الخيلِ وإعطاءُ الجائزةِ للسابقِ منها

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا سَبَق إلا في خُفٍّ أو نَصْلٍ أو حافرٍ**». [أخرجه الأربعة ورواه أحمد (٩٧٨٨) وصححه الألبانيُّ في الإرواء (١٥٠٦)].

سبق معنا شرح هذا الحديث عند شرح الحديث الثامن عشر والتاسع عشر.

وفيه قال الخَطَّابي: يريدُ أن جَعْلَ الجُعْلِ والعطاءِ لا يُستحقُ إلا في سباقِ الخيل والإبل وما في معناهما، وفي النصل وهو: الرمي، وذلك أن هذه الأمور عدة في قتال العدو، وفي بذل الجعل عليها ترغيبٌ في الجهاد وتحريض عليه.

قال: وأما السباق بالطير والزجل والحمام وما يدخل في معناه مما ليس من عدة الحرب ولا من باب القوة على الجهاد فأخذ السبق عليه قمار محظور لا يجوز.

وفي معنى النصل: المنجنيق ورمي الأحجار إلخ.

وفي معنى الخيل: البغال والحمير، وفي معنى الإبل: الفيل.

وأجاز بعضهم الجري والعدو على الأقدام.

فيجوز المسابقة في هذه المعاني.

* * *

الباب السابع عشر

رَفْعُ الزكاةِ عن الخيلِ إنْ كانتْ في حاجةِ الإنسانِ

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليسَ على المرءِ المسلمِ في فرسِهِ ولا مملوكِهِ صدقةٌ**». [رواه البخاري (١٤٦٣) ومسلم (٩٨٣)].

المراد بالْفَرَسِ الجنس لَا الْفَرْدَ الْوَاحِدَ، ولَا خِلَافَ فِي أن الْفَرَسِ الْمُعَدِّ لِلرُّكُوبِ لا زكاة فيه، وقد ورد عن عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «قَدْ عَفَوْتُ عَنِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ فَهَاتُوا صَدَقَةَ الرِّقَةِ» الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، واستدل به من قال بِعَدَمِ وُجُوبِ الزَّكَاةِ فِي الخيل مُطْلَقًا وَلَوْ كَانَت لِلتِّجَارَةِ، لكن زكاه التجارة ثابتة بالإجماع.

وفي رفع الزكاة عن الخيل إشارةٌ إلى تعظيمِ أمرِها، وأن الشرع يأمر باقتنائها وتكثيرها ويَحَضُّ عليه، وأن تكون عند أهلها فلا

تُدْفع لمن لا يَقْدُرُها قدرَها أو من لا يســتطيع إكرامها، فاحتفاظُ الغنيِّ بها دونَ التصدقِ بها لمن يمتهنها أكرمُ لها وأنفعُ له ولها؛ إلا أن يربطها في سبيل الله فهو أنفعُ وأنفعُ.

❊ ❊ ❊

الباب الثامن عشر

حُكْمُ لحومِ الخَيْلِ

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَلْنَاهُ. [رواه البخاري (٥٥١٩) ومسلم (١٩٤٢)].

❊ ❊ ❊

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، وَرَخَّصَ فِي لُحُومِ الخَيْلِ. [رواه البخاري (٤٢١٩) ومسلم (١٩٤١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ:

فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ قَالَتْ: «نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَلْنَاهُ» اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي إِبَاحَةِ لُحُومِ الْخَيْلِ فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ

وَالْجُمْهُورِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَنَّهُ مُبَاحٌ لَا كَرَاهَةَ فِيهِ وَبِهِ قَالَ أكثر السلف، وفي الترخص بأكل لحم الخيل زيادة منفعة منه فبذلك كثرت منافع الخيل وبركتها.

ويقال أن في الأكل من لحومها تأثيرًا على قوة القلب والبدن بالشجاعة والعزة والأنفة وغيرها من صفات الخيول المحبوبة، لانه في المأكول تأثير على الآكل كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا من بركات الخيل أيضًا ومن خيرها المعقود في نواصيها.

والرخصة في لحم الخيل هي الإذن كما في رواية أخرى، والرخصة أيضا هي الإباحة.

وقولها: «نحرنا»: في رواية البخاري: ذبحنا، قال النووي مرة نحروها ومرة ذبحوها. فيجوز في الخيل النحر والذبح.

وهذا أيضًا من خيرها وبركتها أنه يجوز فيها الأمران.

وفي حديث جابر الجمع بين حِلِّ الخيلِ وحرمةِ الحُمُرِ منعًا للقياس بينهما تحليلًا لهما كالخيل أو تحريمهما كالحُمُر.

* * *

الباب التاسع عشر

هل في الخيلِ شُؤْمٌ؟

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالْفَرَسِ**» [(متفق عليه) رواه البخاري (٥٠٩٣) ومسلم (٢٢٢٧)].

قال رسول الله ﷺ: «**لو كان الشؤمُ في شيءٍ لكان في ثلاثة: الفرسِ والمرأةِ والدارِ**».

والنصوص صريحة في النهي عن التشاؤم والتطير: «**لا عدوي ولا طِيَرَة**»، «**الطِّيَرَةُ شركٌ**»، «**مَنْ رَدَّتْهُ الطيرة فقد أشرك**»، «**ليس منا من تَطَيَّرَ أو تُطِيَّرَ له**».

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: لم يرد إضافة الشؤم إلي هذه الأشياء وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها، فأشار إلي أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما أشار إليه ابن العربي هو نظير الأمر بالفرار من المجزوم مع صحة نفي العدوى، والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة؛ لئلا يوافق شئٌ من ذلك القدرَ فيعتقدُ من وَقَعَ له أن ذلك من العدوى أو من الطيرة فيقع في اعتقاد ما نِهُيَ عن اعتقاده فأُشير إلي اجتناب ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحقُ من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه، ومن توكل علي الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشئومة عليه».

وقال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الطيرة علي من تَطَيَّرَ»، وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا:

فمن اعتقد أن رسول الله ﷺ نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذاته دون الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله وضل ضلالاً بعيداً، وبالجملة فإخباره بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانا مشؤومة على من قاربها

وســكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يُعْطِي ســبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويُعْطَى غيرهما ولدًا مشؤومًا نذلا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد ولايــة أو غيرها، فكذلك الــدار والمرأة والفرس، واللهُ ســبحانه خالقُ الخيرِ والشــرِ والسعودِ والنحوسِ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة ويقضي سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوسًا يتنحس بها مــن قارنها، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق ســائر الأســباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، فكما خلق المسك وغيره من حامــل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنهــا من الناس، خلق ضدها وجعلها سببا لإيذاء من قارنها من الناس، والفرق بين هذين النوعين يدركُ بالحسِّ.

فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر.

* * *

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْرَهُ الشِّكَالَ مِنْ الْخَيْلِ». [رواه مسلم (٣٤٨٣)].

يحتملُ أن يكونَ كرِه اسمَ الشِّكالِ من جهة اللفظ؛ لأنه يُشْعِرُ بنقيضِ ما تُراد الخيلُ له.

وهذا كما قال: «**لا أحبُّ العقوقَ**» وذلك عندما سئل عن العقيقة، مع أنها سنة ثابتة بأمره ﷺ.

ويحتمل أنه كرهه لما يقال: إن حوافر المشكل وأعضاءه ليس فيها من القوة ما فيما ليس كذلك.

ويحتمل أن يكون قد جَرَّبَ ذلك الجنس فلم تكن فيه نجابة؛ كما جرب فرس أبي طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وشبهه بالبحر.

وفِي حَديثِ عَبْدِ اَلرَّزَّاقِ عند مسلم: وَالشِّكَالُ أنْ يَكُونَ اَلفَرَسُ فِي رِجْلِهِ اليُمْنَى بَيَاضٌ وَفي يَدِهِ اليُسْرَى، أو فِي يَدِهِ اليُمْنَى وَرِجْلِهِ اليُسْرَى.

ومشهور عند أهل الخيل أن الفرس يحمل ربع وزنه، ويعدو بهذا الوزن دون تعب، ومعلوم أنه يأكل القليل من العلف ويجري

به الكثير من المســافات، كما أن حاسة الســمع لديه قوية جدا، يسمع وقع الأقدام وصوت حوافر الخيل عن بُعْدٍ، ولعل الشكال ليس كذلك فكرهها.

وفيــه معرفة النبــي ﷺ بأنواع الخيــل، واختيــاره وتفضيله لأحسنها وأفضلها.

* * *

الباب العشرون

طرقُ الخَيْلِ وتَخْصِيصُ المسلمِ بها يَعْدِلُ حَمْلَها في سَبِيلِ اللّهِ

الحديث السادس والعشرون

عن أبي كَبْشَة الأَنْمَاريِّ رضي الله عنه أنه أتى رَجُلًا فقال: أَطْرِقْنِي مِنْ فَحْلِكَ، فإنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ أطرقَ مُسْلِمًا فَرَسًا فأعقبَ له الفرسُ كتبَ اللهُ له أجرَ سَبْعينَ فَرَسًا يَحْمِلُ عليها في سبيلِ اللهِ، وإن لم يُعْقِبْ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ فَرَسٍ حَمَلَ عَلَيْهِ في سبيلِ اللهِ عز وجل**» [رواه أحمد (٤/٢٣١) وصححه ابن حبان (٤٦٧٩)].

ومعنى أطرقني: أَعِرْني فرسك للإنزاء والضِّراب، ورَخَّصَ فيه الحسنُ وابنُ سيرينَ، وأجازه مالكٌ بشرط أن تكون الإعارة مدةً معلومةً.

واحتجَّ الأَبَهْريُّ بأنها بيعُ منفعةٍ، وكلُّ ما جاز للإنسانِ أن ينتفعَ به جاز أن يَهبه ويُعاوض عليه، غيرَ الوطءِ خاصةً.

وأما الذي لا يجوزُ أخذُ العوضِ عليه ما لا يجوز فعله مما هو منهي عنه، كبيع الخمر وشبهِهُ من الأعيانِ المحرمةِ والمنافعِ الممنوعةِ.

قال: وأمَّا نهيه ﷺ عن عسـبِ الفحلِ هـو أن يكريه للعلوق ويؤجره للإنزاء والتناسل؛ لأن ذلك مجهولٌ لا يدرى متى يعلق، ولا يجوزُ إجارةُ المجهولِ، كما لا يجوزُ بيعُه.

قال صاحب «الأفعال»: (أعسـبَ) الرجلُ عسبًا: أكرَى منه فحلًا يُنزِيه.

ونقل ابن التين عن أصحاب مالك أن معنى عسب الفحل: أن يتعدى عليه بغير أجر.

وفي الحديث فضلُ إعارةِ الفرسِ لمسلمٍ يريد النتاج منها على مهرته أو لتحسين النتاج.

وفيه أيضًا استحباب تكثير نسـل الخيل؛ لأنها أقوى الدواب وأسرعها، وإن من خصائص الخيل أنها تعرف صاحبها من مجرد صوته أو طريقة ركوبه أو رائحته، مع وفائها الشديد، وحدة ذاكرتها بمعرفة الأماكن بدقة عجيبة!

ويدل الحديث أيضا على النهي عن اختصائها وعدم إنجابها.

والمشهور أن الفرس تنجب لآخر عمرها، ويمتد عمرها حتى ثلاثين سـنة، وذلك أيضًا من الخير المعقود فـي نواصيها ومن بركتها، فالحمد لله الذي ذللها لنا.

❊ ❊ ❊

الباب الحادي والعشرون

جَوَازُ أَخْذِ الكَرَامَةِ في طَرْقِ الخَيْلِ

الحديث السابع والعشرون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رجلًا مِنْ كِلابٍ سألَ رسول الله ﷺ عن عَسْبِ الفَحْلِ فنَهاهُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّا نطرقُ الفحلَ فنُكرمُ؛ فرخَّصَ لَهُ في الكرامةِ. [رواه الترمذي (١٢٧٤) (وصحه الألباني في المشكاة (٢٨٦٦)].

قَوْلُهُ: (عَسْبِ الْفَحْلِ)، وَيُقَالُ لَهُ: الْعَسِيبُ أَيْضًا، وَالْفَحْلُ: الذَّكَرُ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ فَرَسًا كَانَ أَوْ جَمَلًا أَوْ تَيْسًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَدْ رَوَى النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «نَهَى عَنْ عَسِيبِ التَّيْسِ»؛ وهُوَ مَاءُ الْفَحْلِ.

وَقِيلَ: أُجْرَةُ الْجِمَاعِ. وَأَحَادِيثُ الْبَابِ: تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَيْعَ مَاءِ الْفَحْلِ وَإِجَارَتَهُ حَرَامٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ.

قَوْلُهُ: (فَرَخَّصَ لَهُ فِي الْكَرَامَةِ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُعِيرَ إِذَا أَهْدَى إِلَيْهِ الْمُسْتَعِيرُ هَدِيَّةً بِغَيْرِ شَرْطٍ حَلَّتْ لَهُ.

وَقَدْ وَرَدَ التَّرْغِيبُ فِـــي إِطْرَاقِ الْفَحْلِ؛ أَخْـــرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي كَبْشَـــةَ مَرْفُوعًا: «**مَنْ أَطْرَقَ فَرَسًا فَأَعْقَبَ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ سَبْعِينَ فَرَسًا**».

فالرخصةُ في قبول الإكرام، ولا يجوز الاشتراطُ ولا التسعيرُ.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني والعشرون

ما جَاءَ في تَكْرِيمِ وتَشْرِيفِ الخيلِ

الحديث الثامن والعشرون

عن عليٍّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال: أُهْدِيَتْ لِرَسولِ اللهِ ﷺ بَغْلَةٌ فرَكِبَها، فقالَ عليٌّ: لو حَمَلْنا الحَمِيرَ على الخَيْلِ فَكانَتْ لَنا مِثْلُ هذِهِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّما يَفعلُ ذلِكَ الَّذينَ لا يعلَمونَ**». [رواه أبو داوود (٢٥٦٥) والنسائي (٦/٢٢٤) وأحمد (١/١٠٠) وصححه الوادعي في صحيح المسند (٩٦٧)].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**» أي: إنما يُنْزِي الحميرَ على الخيلِ القومُ الذين لا يعلمون أحكام الشريعة، أو لا يعلمون ما هو الأولى والأنسب بالحكمة، أو الذين لا يعلمون الفساد المترتّب على ذلك، أو منزّل منزلة اللازم: أي من ليسوا من أهل المعرفة أصلًا.

قيل: سبب الكراهة هو استبدال الأدنى بالذي هو خير، فإن الخيلَ فيها العزُّ والمنَعَةُ بقهرِ الأعداءِ، والاستيلاءِ على بلدانهم، وأموالهم، بخلاف البَغْلِ، فليس لها ذلك، ولو أجازهم لتعطلت منافع الخيل وانقطع نماؤها وقَلَّ عددُها.

واستَدلّ على جواز اتخاذ البغال بركوب رسول الله ﷺ عليها، وبامتنان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الناس بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨].

وقال الطيبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لعلّ الإنزاء غير جائز، والركوب جائز.

وفيه أن الذين يعلمون قدر الخيل وأهميتها وتعظيمها في الشرع قليلٌ، وأن المهتمين بها الحريصين على نزاهة أنسابها هم الذين يعلمون؛ فإنزاء الفرس على الفرس أعظمُ وأفضلُ؛ فإنها يُحتاج إليها للركوب والركض والطلب، وعليها يُجاهَدُ العدو، وبها تُحرزُ الغنائم، ولحمُها مأكولٌ، ويُسهمُ للفرسِ كما يسهم للفارس، وليس للبغل شيء من هذه الفضائل.

ونهى عن نزو الحمار على الفرس وقد يجوز العكس بأن ينزو الفرس على الحمار لئلا ينشغل رحم الفرس بنسل حمار، بل ينشغل رحم الحمار بالنسل من الفرس.

فلا تتعطل الفرس عن نسلها ولا يقل عددها ونماؤها والله أعلم.

وفي القرآن تقديم الخيل على البغال، قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨].

ولعل النهي عن ذلك لإكرام الخيل أن ينزو عليها حمار؛ فهذا من إهانتها وعدم تقديرها، والشرع أمر بإكرام الخيل وعدم إهانتها، والله أعلم.

* * *

الباب الثالث والعشرون

تَسْمِيَةُ الأُنثى مِنَ الخَيْلِ فَرَسًا

الحديث التاسع والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان ﷺ يُسَمِّي الأنثى منَ الخيلِ فرسًا». [رواه أبو داوود (٢٥٤٦) وابن حبان (٤٦٨٠) والحاكم (١٤٤/٢) وقال صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٥٤)].

الفرس تُطلق عند العرب على الذكر والأنثى؛ فكأنه ﷺ خصص أحد النوعين بالاسم وغلب هذا في العُرْفِ الآخر حتى لا يطلق الفرس إلا على الأنثى.

وقد كان النبيُّ أفصحَ العربِ وأبلغَ الناسِ، فكان يقول عنها «فرسًا»، ولم يُسمع في كلام العرب: «فرسة»، بل إن أردت الأنثى خاصة تقول بالتصغير «فُرَيْسَة».

ولفظ فرس مشتق من الافتراس: كأنها تفترس الأرض لسرعة مشيها وجريها.

* * *

الباب الرابع والعشرون

تَكْرِيمُ الخَيْلِ في الدَّارَيْنِ

الحديث الثلاثون

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ فِي الجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ؟ قَالَ: «**إِنِ اللهُ أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ إِلَّا فَعَلَتْ**» قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ فِي الجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ قَالَ: «**إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ**» [رواه الترمذي (٢٥٤٣) وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٧/٤)].

قَوْلُهُ: «إِنِ اللهُ» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ النُّونِ عَلَى أَنَّ إِنْ شَرْطِيَّةٌ ثُمَّ كُسِرَ لِلِالْتِقَاءِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «اللهُ» مَرْفُوعٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ وَهُوَ (أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ) وَلَا يَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى الِابْتِدَاءِ لِوُقُوعِهِ بَعْدَ حَرْفِ الشَّرْطِ.

وَقَوْلُهُ: (فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا) جَوَابٌ لِلشَّرْطِ، أَيْ: فَلَا تَشَاءُ الْحَمْلَ فِي الْجَنَّةِ (عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ تَطِيرُ) بِصِيغَةِ الْمُؤَنَّثِ، وَالضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى فَرَسٍ.

قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الْفَرَسُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى (حَيْثُ شِئْتَ) أَيْ طَيَرَانَهُ بِكَ (إِلَّا فَعَلْتَ).

وقال الكِرمانيُّ: (فعلتْ) بتاء التأنيث الساكنة، والضميرُ للفرسِ، وفي بعض النسخ (فعلتَ) بتاء المخاطب.

قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: إِنْ أدخلكَ الجنةَ اللهُ فلا تشاءُ أَنْ تُحْمَلَ عَلَى فَرَسٍ كَذَلِكَ إِلَّا حُمِلْتَ عَلَيْهِ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ إِلَّا وَتَجِدُهُ فِي الْجَنَّةِ كَيْفَ شَاءَتْ؛ حتى لو اشتهت أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لَوَجَدَتْهُ وتمكنتْ مِنْهُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِنْ أَدْخَلَكَ اللهُ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ يَكُونَ لَكَ مَرْكَبٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ؛ وَلَا تَرْضَى بِهِ، فَتَطْلُبَ فَرَسًا مِنْ جِنْسِ مَا تَجِدُهُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةً وَصِفَةً.

كما جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَهُوَ: «**إِنْ أُدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلْتَ عَلَيْهِ**».

اللهمَّ ارزقنا الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا سابقةِ عذابٍ

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].. نعم إنها الجنة.. فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ

هل تصورت يومًا فرسًا من ياقوتة له جناحان؟!

إنه في الجنة...

ومُحبُّ الخيل والمهتمُّ بها قد يشتهي مثلَ ذلك...

واللهُ كريمٌ... إذا أرادَ شيئًا فإنما يقولُ له كَنْ فيكونُ.

فهنيئًا لمُحبِّ الخيل، تكون معه الخيلُ في الدنيا، ثم في الآخرة؛ وعلى الهيئة التي يشتهيها أيضًا.

* * *

الباب الخامس والعشرون

مَا جَاءَ في أَفْضَلِ ألوانِ الخيلِ

الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ الخَيْلِ الأَدْهَمُ الأَقْرَحُ الأَرْثَمُ، ثم الأَقْرَحُ المُحَجَّلُ الثَّلاثِ مُطْلَقُ اليَمِينِ؛ فإنْ لَمْ يكن أَدْهَمَ فكُمَيْتٌ**». [رواه الترمذي (١٦٩٦) وقال حسن صحيح غريب، وابن حبان (٤٦٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٣)].

قَوْلُهُ: (الْأَدْهَمُ) هُوَ شَدِيدُ السَّوَادِ، ذَكَرَهُ فِي الضِّيَاءِ، قَوْلُهُ: (الْأَقْرَحُ) هُوَ الَّذِي فِي جَبْهَتِهِ قُرْحَةٌ: وَهِيَ بَيَاضٌ يَسِيرٌ فِي وَسَطِهَا، قَوْلُهُ: (الْأَرْثَمُ) هُوَ الَّذِي فِي شَفَتِهِ الْعُلْيَا بَيَاضٌ، قَوْلُهُ: (طُلُقُ الْيَمِينِ) طُلُقُ بِضَمِّ الطَّاءِ وَاللَّامِ أَيْ غَيْرُ مُحَجَّلِهَا.

قَوْلُهُ: (فَكُمَيْتُ) هُوَ الَّذِي لَوْنُهُ أَحْمَرُ يُخَالِطُهُ سَوَادٌ وَيُقَالُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَلَا يُقَالُ أَكْمَتُ وَلَا كَمْتَاءُ وَالْجَمْعُ كُمْتٌ، وَقِيلَ إِنَّ الْكُمَيْتَ: مَا فِيهِ حُمْرَةٌ مُخَالِطَةٌ لِسَوَادٍ وَلَيْسَتْ سَوَادًا خَالِصًا وَلَا حُمْرَةً خَالِصَةً. وَيُقَالُ الْكُمَيْتُ أَشَدُّ الْخَيْلِ جُلُودًا وَأَصْلَبُهَا حَوَافِرَ،

ويقال الكُميت: الفرسُ الذي ذيله وشــعر عنقه أسودان، والباقي أحمر، وفي رواية: «فَكُمَيْتٌ على هَذِهِ الشِّيَةِ».

قَوْلُهُ: (عَلَى هَذِهِ الشِّــيَةِ) فِي النِّهَايَةِ: الشِّــيَةُ كُلُّ لَوْنٍ يُخَالِفُ مُعْظَمَ لَــوْنِ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِ وَأَصْلُهُ مِنْ الْوَشْــيِ، وَالْهَاءُ عِوَضٌ عَنْ الْوَاوِ، يُقَالُ وَشَيْتُ الثَّوْبَ أَشِيهِ وَشْيًا وَشِيَةً، وَالْوَشْيُ: النَّقْشُ، أَرَادَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ وَهَذَا اللَّوْنِ مِنْ الْخَيْلِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْخَيْلِ الْأَدْهَمُ الْمُتَّصِفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ثُمَّ الْكُمَيْتُ.

❊ ❊ ❊

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ عَبْدِ الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُمنُ الخَيْلِ في الشُّــقرِ**». [رواه أبو داوود (٢٥٤٥) والترمذي (١٦٩٥) وقال حسن غريب، وأحمد (٢٧٢/١) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٩٥)].

قَوْلُهُ: (يُمْنُ الْخَيْلِ فِي شُقْرِهَا) الْيُمْنُ: الْبَرَكَةُ.

وَالْأَشْقَرُ قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الأشــقرُ مِنْ الدَّوَابِّ: الْأَحْمَرُ فِي مُغْرَةٍ حُمْرَةٍ يَحْمَرُّ مِنْهَا الْعُرْفُ وَالذَّنَبُ اهـ.

وَقِيلَ: الْأَشْقَرُ مِنْ الْخَيْلِ نَحْوُ الْكُمَيْتِ، إلَّا أَنَّ الْأَشْقَرَ أَحْمَرُ الذَّيْلِ وَالنَّاصِيَةِ وَالْعُرْفِ، وَالْكُمَيْتُ أَسْوَدُهَا، وَالْأَدْهَمُ: شَدِيدُ السَّوَادِ.

كما في قَوْلُهُ: (بِكُلِّ كُمَيْتٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ) فِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُد: «عَلَيْكُمْ بِكُلِّ أَشْقَرَ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ أَوْ كُمَيْتٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ».

وَالْأَغَرُّ: هُوَ مَا كَانَ لَهُ غُرَّةٌ فِي جَبْهَتِهِ بَيْضَاءُ فَوْقَ الدِّرْهَمِ.

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦].

والمقصود في ألوان الخيل جمالها، والجمال أذواق، والأذوق هو اختيارُ النبيِّ ﷺ، ونحنُ أتباعُه؛ فالأحبُّ إليه أَحَبُّ إلينا.

وفيه استحبابٌ: هذا اللون وتفضيله على غيره، وفي الإبل أيضا لحديث النبي ﷺ «خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ».

* * *

الباب السادس والعشرون

الدعاءُ لَمَنْ لا يَثْبُتُ على الخَيْلِ، وأن الثباتَ على الدينِ سببٌ للثباتِ على الخَيْلِ

الحديث الثالث والثلاثون

عن جَرِيرٍ رضي الله عنه قال: ما حَجَبَني النبيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وَجْهي، ولقد شَكَوْتُ إليه إني لا أَثْبُتُ على الخَيْلِ فَضَرَبَ بيدِهِ في صَدْرِي وقال: «**اللهمَّ ثَبِّتْهُ واجْعَلْه هَاديًا مَهْدِيًّا**». [(متفق عليه) رواه البخاري (٦٠٨٩) ومسلم (٢٤٧٧)].

هذا الحديثُ من مناقبِ جَريرٍ رضي الله عنه ، وفيه شكواه أنه لا يثبتُ على الخيل، فكأن عدمُ الثباتِ على ظهر الخيل أثناء ركوبها في فَرِّها وكرِّها عيبٌ يُعيبُ الرجالَ، فطلبَ من رسولِ اللهِ ﷺ الدعاءَ لعلاجِ هذا العيبِ.

والدعاء ينفع في كل شيء فلعل الله يوفقه بالدعاء إلى عمل وتدريب يتمكن به من الثبات، ثم دعاء النبي ﷺ له بالهداية فيه إشارة إلى أن الثبات على الدين هو الأصل، فمن ثبت على الدين كان أحرى أن يثبت على الخيل فهي أيسر.

وفيه: تواضعُ النبيِّ ﷺ وَتَبسُّــطُه مع الناسِ فما كان يَحْجُبُ أحدًا، وحسنُ خلقهِ وتوددُّه بتبسمهِ ﷺ.

وأما ضربه بيده في صدره لأن فيه القلب، وهو محل الثبات، وفي رواية: حتى رأيت أثر يــده (أو أصابعه) في صدري، وذلك حين بعثه النبي ﷺ ليهدم صنم ذي الخُلَصة.

وفيه الدعاء من أهــل الخير والصلاح لمــن لا يثبت على الخيل بالثبات والهداية لغيره ولنفســه، وقال جرير: فما وقعتُ عن فرسٍ بعدُ.

* * *

الباب السابع والعشرون

تَوْظيفُ النبيِّ ﷺ للخَيْلِ في حَدَثٍ عظيمٍ، وإطلاقُ اسمِهَا على المَفْرَزةِ والسَّرِيَّةِ والجَيْشِ

الحديث الرابع والثلاثون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، أتى النبيُّ ﷺ الصَّفَا فصَعدَ عليه، ثُمَّ نَادى: يا صَبَاحَاه! فاجْتَمَعَ النَّاسُ إليه بَيْنَ رَجُلٍ يجيءُ إليه، وَبَيْنَ رَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا بَنِي عَبدِ المُطَّلبِ، يا بني فِهْرٍ، يا بني كَعْبٍ، أرأيتُمْ لو أخبرتُكُمْ أن خَيْلًا بِسفحِ هذا الجَبَلِ تُريدُ أن تُغِيرَ عليكمْ صَدَّقتُموني؟». قَالُوا: نَعَمْ. قال: «فَإِنِّي نَذيرٌ لكم بَينَ يَدَيّ عَذَابٍ شَدَيدٍ». فقال أبو لهبٍ ـ لعنه الله ـ: تبًا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ! أما دَعَوْتنا إلا لهذا؟ [(متفق عليه) رواه البخاري (٣٥٢٦)، ومسلم (٢٠٨)].

الخيل وما أدراك ما الخيل!

في الحديث إشارة إلى خطورة الخيل وأن أمر هجومها أمر جلل يقتضي الحذر فهي حين تهدد بالإغارة خيل خطر.

والإشارة إليها في الحديث لأنه الخطر المعهود في زمنهم.

والخيل هنا تطلق على الجيش أو السرية أو المفرزة من الرجال، لأن أقوى سلاح فيها هو الخيل؛ بل هى أعظم ما في الجيش والسرية، فسُمي الجيشُ بأعظم وأقوى ما فيه، قَلَّ ذلك أو كَثُرَ حتى لو كان سَرِيَّةً صغيرة.

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ بَعَثَ خيلاً قِبلَ نجدٍ فأسروا ثمامة بن أثال» [متفق عليه رواه البخاري (٤٦٢) ومسلم (١٧٦٤)].

والمشهور أن أول من قال: «**يا خيل الله اركبي**»، هو نبينا ﷺ، وهو كناية عن السرية أو الجيش.

* * *

الباب الثامن والعشرون

قُدْرَةُ الخَيلِ على اسْتِشْعَارِ المَلَائِكَةِ

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه: أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ رضي الله عنه بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا. قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ، ابْنَ حُضَيْرٍ**» قَالَ: فَقَرَأْتُ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ، ابْنَ حُضَيْرٍ!**» قَالَ: فَقَرَأْتُ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ، ابْنَ حُضَيْرٍ!**» قَالَ: «فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**». [رواه مسلم (٧٩٩)].

في هذا الحديث: «**تلك الملائكة**» وفي الآخر: «**تلك السكينة**» فإذا كانت السكينة روحاً ـ كما جاء مثل قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] على الاختلاف في الروح ما هو؟ فقد يكون مع السكينة الملائكة.

وفيه: شعور الخيل بالملائكة، وفضيلة أسيد بن حضير رضي الله عنه، وكرامات الأولياء، وفضل قراءة القرآن عمومًا، وسورة الكهف خصوصًا حيث في روايات أنه كان يقرأها حينئذ كما في الحديث التالي. وقيل: البقرة.

وقيل: إنها حصلتْ لأسيدٍ مرتين، مع كل سورة مرة.

وفي الحديث: جواز رؤية بني آدم الملائكة لقوله ﷺ: «**لأصبحت ينظر إليها الناس ما تستتر منهم**».

وكان أسيدٌ رضي الله عنه حسنَ الصوتِ بالقرآنِ رضي الله عنه.

وحاسة السمع عند الفرس من أقوى الحواس، فلعلها تدرك ما لا ندركه..

فسبحان الخالق العظيم!!

وهذا من بركة الخيل أيضًا ومن خيرها المعهود، أنها تنبهنا إلى أشياء قد لا نحسها ولا ندركها، فيكون وجودها في حياتنا

توجيهـــا إلى بركة معينة أو إلى معنى كالســـكينة، أو إلى أشـــياء عظيمة كالملائكة.

فـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]..

والحمد لله رب العالمين..

* * *

الحديث السادس والثلاثون

عَنِ البَرَاءِ بْـــنِ عَازِبٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُـــورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُـــو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُـــهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّـــا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ**».

[رواه البخاري (٥٠١١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح البـــاري: كَانَ الَّذِي يقْرَأ سُـــورَة الْكَهْف هو أُسَـــيْد بنُ حضير وَفِيه: «فَنزلت الْمَلَائِكَة عَلَيْهِ بأمثال المصابيح»، وَعند البُخَـــارِيّ مُعَلّقا من حَدِيث أبي ســـعيد، وَهُوَ مُسْند عِنْد النَّسَائِيّ أَن أسيدا بَيْنَمَا هُوَ يقْرَأ من اللَّيْل سُورَة الْبَقَرَة إِذْ

جالت الْفرس، فسكنت ثَلَاث مَرَّات، فَرفع رَأسه إِلَى السَّمَاء، فَإِذا مثل الظلة فِيهَا أَمْثَــال المصابيح، فَحدث النَّبِــي ﷺ، فَقَالَ: وَمَا تَدْرِي مَا ذَاك؟ تِلْكَ الْمَلَائِكَة دنت لصوتك، وَلَو قَرَأتَ لأصبحتْ ينظر النَّاس إِلَيْهَا، وَزعم بعض الْعلمَاء أَنَّهُمَا وَاقِعَتَانِ أَو يحْتَمل أَنه قَرَأَ كلتيهما؛ هَــذَا إِذا قُلْنَا بتســاوي الرِّوَايَتَيْنِ، وَأمــا إِذا رجحنا الْمُتَّصِل على الْمُعَلق فَلَا يحْتَاج إِلَى جمع أَو أَن الرَّاوِي ذكر المهم وَهُوَ نزُول الْمَلَائِكَة سكينَة.

(بشطنين): بحبلين، (تنزلت بالقرآن): بسبب سماع القرآن.

وفــي الحديث إكــرام للخيل وزيادة شــرف لهــا بأنها ترى الملائكة أو تشــعر بها، فيالها مــن منقبة للخيل يستشــرف لها الإنسان!

ولعل فيه إشــارة أيضًا إلى أن وجود الخيل في البيت بركة؛ ومن بركتها أنها تنبهك إلى وجود الملائكة ساعة نزولهم.

وقوله: «وجعل فرسه ينقر» ومعناه: يثب، والصواب: ينفر من النفور، ولا يبعد تنقر بمعنى الوثوب؛ لقوله في الرواية الأخرى: «فجالت».

* * *

الباب التاسع والعشرون

ما جاء في أكْفالِ الخيل (القطاة)

الحديث السابع والثلاثون

عن أبي وهب الجشمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ارتبِطوا الخيلَ وامسَحوا بنواصيها وأعجازِها أو قالَ أَكفالِها وقلِّدوها ولا تقلِّدوها الأوتارَ**» [(سنن ابي داوود ٢٥٥٣) (تخريج مشكاة المصابيح لابن حجر ٣٤/٤ وقال عنه حديث حسن) (وصححه الألباني في صحيح ابي دَاوُدَ ٢٥٥٣)].

للخيلِ أهمِّيتُها البالغةُ على مَرِّ العُصورِ، وهي مِن خيرِ مالِ المرءِ، ومِن أحَبِّ المالِ إلى قلبِ أصحابِها تسننا لأن رسول الله كان يحبها، وتُستخدَمُ في أغراضٍ كثيرةٍ، مثلِ الزِّينةِ والتَّكثُّرِ بالمالِ، وأفضلُ مِن ذلك في سبيل الله.

وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**ارتَبِطوا الخيلَ**»، أي: بالِغوا في رَبْطِها واقتِنائها، وبالِغوا في إمساكِها عندَكم، واجعَلوها في رِباطٍ دائم في سبيلِ اللهِ، «**وامسَحوا بنَواصيها وأعجازِها** ـ أو قال: **أكفالِها**»، أي: نَظِّفوها، أوِ اهتَمُّوا بها، والنَّاصيةُ: هي الجبهَةُ

ومُقدِّمةُ الرَّأسِ، والكَفَلُ والعَجُزُ هما مُؤخِّرةُ الحيوانِ، «**وقَلِّدوها، ولا تُقلِّدوهـا الأوتارَ**»، أي: اجعَلـوا في رِقابِها القلائـدَ والحُلِيَّ المباحةَ أي: زينوها وجملوها، ولا تَجعَلوا في رِقابِها الخُيوطَ الَّتي كانت تُتَّخَذُ تَمائمَ، أو لا تَجعَلوا في رِقابِها أوتارَ الأقواسِ الحربيَّةِ؛ حتَّى لا تَختنِقَ بها عندَ الرَّعيِ وغيرِه.

وفي الحديثِ: الحـثُّ على إكرامِ الخيلِ عنـدَ أصحابِه؛ لِمَا لاقتنائِها في سبيلِ اللهِ مِن فضلٍ وأهمِّيَّة.

وفي الحديث ذكر الكفل في الخيل (القطاة) وفِي ذلك دلالة على أهميتها وأهمية وصفها والذي نرجحه في وصفها أن شـكل الكفل لا يكون مستقيما بل شكله الطبيعي أن يكون فيه تحديب فهذا هو علامة جماله ولهذا أشار امرؤ القيس:

لهـا عجـز كصفـاة المسـيل
أبـرز عنهـا حجـاف مُضّـر

أي: ولفرسـي هذه عجز، أي: مؤخرة ملساء مقببة، مثل: نصف الدائرة، تشبه الصخرة في ملامستها وتدويرها، ليست بخشنة أو بعض الورك زائد على بعض؛ بل متناسقة، كأنها في ملاستها الصخرة التي في مجرى السيل قد مر عليها عدة مرات، فهي ملساء صافية...

* * *

الباب الثلاثون

الفرسُ عندَ من لا يعلمُ قدْره إضَاعة

الحديث الثامن والثلاثون

عن عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**لَا تَشْتَرِه، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ، وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ، فَإِنَّ العَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ فِي قَيْئِهِ**». [رواه البخاري (٢٩٠٧)].

قَوْلُهُ: «حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ» زَادَ الْقَعْنَبِيُّ فِي الْمُوَطَّأِ «عَتِيقٍ» وَالْعَتِيقُ: الْكَرِيمُ الْفَائِقُ من كل شَيْء، وَهَذَا الْفرس أخرج ابن سَعْدٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ بِسَنَدِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي تَسْمِيَةِ خَيْلِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَأَهْدَى تَمِيمٌ الدَّارِيُّ لَهُ فَرَسًا يُقَالُ لَهُ: الْوَرْدُ، فَأَعْطَاهُ عُمَرَ فَحَمَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَوَجَدَهُ يُبَاعُ...» فَعُرِفَ بِهَذَا تَسْمِيَتُهُ وَأَصْلُهُ، والوَرْدُ من أسماء الأسَدِ.

قَوْلُهُ: «فِي سَبِيلِ اللهِ»: ظَاهِرُهُ أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَيْهِ حَمْلَ تَمْلِيكٍ لِيُجَاهِدَ بِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ حَمْلَ تَحْبِيسٍ لَمْ يَجُزْ بَيْعُهُ، وَقِيلَ بَلَغَ إِلَى

حَالَةٍ لَا يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ فِيمَا حُبِسَ فِيهِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِسَبِيلِ اللهِ الْجِهَادُ؛ لَا الْوَقْفُ، والْمَوْقُوفُ إِذَا بَلَغَ غَايَةً لَا يُتَصَوَّرُ الِانْتِفَاعُ بِهِ فِيمَا وُقِفَ لَهُ جَازَ التصرُّفُ فيه.

قَوْلُهُ: «فَأَضَاعَهُ»: أَيْ: لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ عَلَيْهِ، وَقَصَّرَ فِي مؤونته وَخِدْمَتِهِ.

وَقِيلَ: أَيْ: لَمْ يَعْرِفْ مِقْدَارَهُ فَأَرَادَ بَيْعَهُ بِدُونِ قِيمَتِهِ.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: اسْتَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ مَا جُعِلَ لَهُ.

وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَيُؤَيِّدُهُ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: «فَوَجَدَهُ قَدْ أَضَاعَهُ، وَكَانَ قَلِيلَ الْمَالِ»، فَأَشَارَ إِلَى عِلَّةِ ذَلِكَ، وَإِلَى الْعُذْرِ الْمَذْكُورِ فِي إِرَادَةِ بَيْعِهِ.

وفيه: تفضيل الخيل الكريمة العتيقة على ما سواها، وتقديم الأفضل لدين الله ومصلحة المسلمين، حيث حمل عمر رضي الله عنه على هذا الفرس العتيق، وحمية عمر رضي الله عنه على مصلحة الإسلام، إذ يقدم للدين أفضل ما عنده والله أعلم.

وفيه أيضًا تعظيم أمر الخيل، وعدم امتهانها، وأهمية إعطائها حقها، فلما رآها تباع خشي أن يشتريها من لا يقوم بحقها فرغب بها عن ذلك.

وفِي الحديث أن الرجوع في الصدقة والهبة حرام لا يجوز.

* * *

الباب الحادي والثلاثون

تشبيهُ نُموِّ الصَّدَقَةِ بُنُموِّ الفُلُوِّ

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، وَيَأْخُذُها بِيَمِينِه، فيُرَبِّيها لِأَحَدِكُم، كما يُرَبِّي أحدُكم مُهْرَه** ـ وفي رواية (فُلُّوَهُ)، ـ **حتى إنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ. وتصديقُ ذلك في كتابِ اللهِ** عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤]. و﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]». [رواه الترمذي (٦٦٢) وقال حسن صحيح].

كما نقولُ دومًا أن الله سبحانه إذا أقسمَ بشيءٍ أفادَ هذا القَسَمُ هذا الشيءَ عَظَمَةً، وهكذا هنا؛ نقول أن رسول الله ﷺ إذا شَبَّهَ عند ذِكْرِ الأجرِ أو شيءٍ من الغيبِ بشيءٍ محسوسٍ ـ وخصوصًا في الفضائلِ والمكارمِ ـ أفادَ هذا المشبَّهَ به عظمة لذكرهِ وتعظيمهِ.

وها هنا تكريُم للخيلِ بأنِ استخدمها رسولُ اللهِ ﷺ في التشبيهِ

بها في تنميةِ اللهِ الخيرَ لعبدِه وهذه صفةُ الكريمِ سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وشبه النبي ﷺ الإسلام بالخيل حين قال: «**الإيمان قيد الفتك**» [صحيح الجامع: ٢٨٠٢].

* * *

الباب الثاني والثلاثون

يا أهل الخيل احذروا الفخر والخيلاء

الحديث الأربعون

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ في أَهْلِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالْفَدَّادينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكينَةُ في أَهْلِ الْغَنَمِ**». [رواه البخاري (٣٣٠١) ومسلم (٥٢)].

إخبارُ رسولِ اللهِ ﷺ أن الفخرَ والخيلاءَ في أهلِ الإبلِ والخيلِ لأن عادة صاحبها الاهتمامُ بالخيلِ وأنواعها وأسمائها وأهميتها وأصالتها وندرتها واحتياج الناس إليها وهل هي عربية أصيلة من عتاق الخيل، أم هجينة؟؛ فغالبًا يغره ذلك فيغتر فيصيبه من ذلك الفخر بها وبأنواعها وألوانها عنده، ويصيبه بها الخيلاء بمنظرها والزهو بكثرتها والاحتفاظ بالنادر منها، وذلك كله من الصفات المذمومة لأهل الدنيا، فأما من ربطها لله خالصةً لوجهِهِ لا يريدُ بها إلا وجهَ الله فإنه لا يصيبهُ مثلُ ذلك، فهو يعلم أنها مال الله:

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣] فيعافيه الله باطنًا وظاهرًا من ذلك.

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا ذمّ هَؤُلَاءِ لاشتغالهم بمعالجة مَا هم عَلَيْهِ عَن أُمُور دينهم وتلهيهم عَن أَمر الْآخِرَة وَتَكون مِنْهَا قساوة الْقلب وَنَحْوهَا.

وإنما سُميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها فلعل صاحبها يتأثر بها وبما فيها من زهو وسرور بنفسها؛ بل الفرس من خصاله وصفاته أنه لا يأكل من بقية علف غيره فلعل صاحب الخيل يأخذ من صفاتها بسبب المعاشرة أو تأثرًا بأكل لحومها. والله أعلم.

قَوْله «والسكينة فِي الْغنم» أَي السّكُون والطمأنينة وَالْوَقار والتواضع.

* * *

الباب الثالث والثلاثون

غَلاءُ الخَيْلِ ورخْصُها عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ القيامةِ

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ الْحَكَمِ، رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ الْبُرْجُمِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ يَوْمًا الْمَسْجِدَ، فَإِذَا الْقَوْمُ رُكُوعٌ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا، وَحَتَّى يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ بِالْمَعْرِفَةِ، وَحَتَّى تَتْجَرَ الْمَرْأَةُ وَزَوْجُهَا، وَحَتَّى تَغْلُو الْخَيْلُ وَالنِّسَاءُ، ثُمَّ تَرْخُصَ فَلَا تَغْلُو إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

[رواه: الطبراني في المعجم الكبير (٩٤٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٤٥)، وأبو داوود الطيالسي (٣٩٣) بنحوه، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٨) وهذا لفظه، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»].

ذكرنا أن مما تَشْرُفُ به الخيل أن يشبه رسول الله ﷺ بها شيئًا، أو يذكرها في شيء من حديثه كعلامة أو دلالة على أمر هام،

والأمر هنا وارد في ذكرها كعلامة من علامات القيامة، فهذا دليل على بقائها وأهميتها وارتباطها بأحداثٍ جِسامٍ، وتأثير وجودها في هذه الأحـــداث، وهذا يتوجـــب منه الحفـــاظ عليهـــا ومراعاتها والاهتمام بها والنظر في أحوالها.

وفيه: أن دوام رخصها وعدم غلائهـــا يُعَدُّ علامة على اقتراب الساعة والله أعلم.

* * *

الباب الرابع والثلاثون

الاستعدادُ (وَأَعِدُّوا) بتربيةِ الخَيْلِ وَرُجُوعُها آخَرَ الزمَّانِ

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَـهُ هِجِّيرَى إِلَّا قال: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْـعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا ـ وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ ـ فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُـونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْـلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُـمَّ يَشْـتَرِطُ الْمُسْـلِمُونَ شُـرْطَةً لِلْمَـوْتِ، لَا تَرْجِـعُ إِلَّا

غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً ـ إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا ـ حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ـ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**». [صحيح مسلم (٢٩٠١)].

في هذا الحديثِ العظيمِ فوائدُ جَمَّةٌ، من أَهَمِّها فيما يَخُصُّ موضوعَ الخَيْلِ:

١ ـ أن الخيل باقية إلى أن تقوم الساعة، تَستعمل ويَستفاد منها؛ بل ستكون من أمضى الأسلحة وأفضل أسباب النصر في المواقع يومئذ.

٢ ـ أهمية الفارس وأهمية إعداده وادخاره؛ إنهم عشرة فوارس طليعة... ويا لفخرهم وشرفهم حين يهتمُ رسولُ اللهِ ﷺ بِمَعرفة أسمائهم وحفظها، بل وبمعرفة كامل أحوالهم، حتى إنه ليعرف ألوان خيولهم حتى لكأن لألوان الخيل شأنًا!

٣ ـ سبق معنا في الحديث رقم (٣١) التعريف بأهم ألوان الخيل وأفضل الألوان وأحبها إلى رسول الله ﷺ فألوان الخيل مرتبطة بنوع الفرس وبأهمية الفارس الذي يركبها.

٤ ـ بيان آخر لمعنى: «**معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»، فهذا من خيرها.

٥ ـ هم خير فوارس.. شرف ما بعده شرف.

* * *

الباب الخامس والثلاثون

الاسْتِمْرَارُ في الاسْتِعْدَادِ، والمُدَاوَمَةِ عَلَيْهِ

الحديث الثالث والأربعون

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا؛ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**كَذَبُوا، الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحِي إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرُ مُلَبَّثٍ، وَأَنْتُمْ مُتَّبِعُونِي أَفْنَادًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ**». [رواه أحمد (٤/٢١٤) والنسائي في السنن (٣٥٦١) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٥)].

أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ ـ بالذال المعجمة ـ أي: أهانوها، يقال: أذلته أنا: أهنته، ولم أُحْسِنِ القيام به، وإذالة الخيل: امتهانها بالعمل، وحمل المتاع عليها.

ففي الحديث دليل على عدم جواز إهانة الخيل أو امتهانها في غير ما خلقت له، وشرف عظيم للخيل قول النبي ﷺ أنها: «معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» وقد سبق شرحه في موضعه.

وفيه تعظيم شأن الخيل، وارتباطها في الثغور إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده وأن تكون في سبيل الله.

❊ ❊ ❊

الباب السادس والثلاثون

القيادة والقائد والمقود

الحديث الرابع والأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»،

(تعس) سقط على وجهه أو شقي وهلك.

(عبد الدينار) بسبب الحرص على المال وتحمل الذلة من أجله والمبالغة في طلبه وانصراف عمله كله إليه صار كالعابد له.

(القطيفة) دثار مخمل والدثار ما يلبس فوق الشعار والشعار ما لامس الجسد من الثياب.

(الخميصة) كساء أسود مربع له خطوط.

تعلق القلب بالمظاهـــر من الأموال والملابـــس وغيرها من مظاهر الترف في الحياة عبادة لها .

(انتكس) انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران.

(شيك) أصابته شوكة.

(فلا انتقـــش) فلا قدر على إخراجهـــا بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معينا على الخلاص منه.

وهذا دعاء علـــى من تعلق قلبه بغير الله بشـــيء من الدنيا ألا يكون موفقًا ولا معانًا ولا مسددًا .

(طوبى) من الطيـــب أي كانت له حياة طيبـــة وجزاء طيب.

(بعنان) لجام.

(أشعث) متفرق الشعر غير مسرح.

(إن كان في الحراسة) جعل في مقدمة الجيش ليحرسه من العدو.

(كان في الحراسة) قام بها راضيا.

(الساقة) مؤخرة الجيش .

وهذا فضل آخر للخيل وصاحب الخيل وراعي الخيل وفارس خيل الرحمن.. طوبى له.

وتأمل ـ أخي الحبيب ـ كيف دعا رســـول الله ﷺ على عابد

الدنيا بالخيبة والخسران، ثم دعا لهذا الطيب فارس خيل الرحمن بالحياة الطيبة .

طوبى له وهو آخذ بعنان فرسه مخلصًا في سبيل الله ..

طوبى له وهو غير مهتم بشعره ولا بنعله .

طوبى له وهو راضٍ بمقامه ومكانه؛ إن كان قائدًا فهو قائم بحقها، وإن كان حارسًا فهو غير متطلع لإمارة ولا لقيادة ولا ينازع عليها، بل هو في الساقة مخلص، وفي الحراسة مخلص، وفي القيادة مخلص، لا يعبد نفسه ولا شهوته ولا مراده ولا ملبسه ومظهره؛ وإنما هو مخلص عابد لربه حيثما أُقيم كان راضيًا قائمًا بها على وجهها.

وَالْمعْنَى إيتماره لما أَمر وإقامته حَيْثُ أقيم لَا يفقد من مَكَانَهُ بِحَال، وَإِنَّمَا ذكر الحراسة والساقة لِأَنَّهُمَا أَشد مشقة وَأكْثر آفَة، الأول عِنْد دُخُولهمْ دَار الْحَرْب، وَالْآخر عِنْد خُرُوجهمْ مِنْهَا.

فَإِن قلت: مَا وَجه اتِّحَاد الشَّرْط وَالْجَزَاء؟ قلت: وَجه ذَلِك أَنه يدل على فخامة الْجَزَاء وكماله نَحْو من كَانَت هجرته إِلَى الله وَرَسُوله فَهجرَته إِلَى الله وَرَسُوله، أَي: من كَانَ فِي السَّاقَة فَهُوَ فِي أَمر عَظِيم، أَو الْمُرَاد مِنْهُ لَازمه، نَحْو: فَعَلَيهِ أَن يَأْتِي بلوازمه وَيكون مشتغلاً بخويصة عمله، وإن قل ثَوَابه.

❊ ❊ ❊

الفهرس

المقدّمة ٥

الاهتمام بالخيل في القرآن والسُّنَّة ١١

الباب الأول: ما جاءَ في أهمية تحديدِ النيةِ من رَبْطِ الخيلِ ٢٩

الباب الثاني: ما جاء في فضلِ تربيةِ خَيْلِ الرَّحَمْنِ وعِظَمِ الأجرِ في ذلك ٣٤

الباب الثالث: رَبْطُ الخيلِ في سبيل اللهَ يعدِلُ صدقةً مستمرةً ٣٧

الباب الرابع: رَبْطُ الخيلِ يجمعُ بين خَيْرَيْ الدنيا والآخرة ٤١

الباب الخامس: ما جَاء أَنَّ الخَيْلَ أَفْضَلُ الأَمْوَالِ ٤٦

الباب السادس: رُتبةُ الخَيْلِ بَعْدَ المَرْأَةِ في زينَةِ الدُّنْيَا ٤٨

الباب السابع: استحبابُ رَبْطِ الخَيْلِ العَرَبِيِّ، وَدُعَاءُ الفَرَسِ لِصَاحِبِهِ ٥٤

الباب الثامن: ما جاء أن تأديبَ الفرسِ ليس لهوًا ولا سهوًا ٥٦

الباب التاسع: ما جَاء في الإحْسَانِ إلى الخَيْلِ.....٥٩
الباب العاشر: العِنَايَةُ بالخَيْلِ وربطهاِ في الحائطِ ٦١
الباب الحادي عشر: سنةٌ مهجورةٌ: الإمساكُ بناصيةِ الفَرَسِ.....٦٣
الباب الثاني عشر: ما جَاءَ في فُرُوسِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ ٦٥
الباب الثالث عشر: أَقَلُّ عُدَّةِ الفارِسِ.....٦٨
الباب الرابع عشر: تفضيلُ السريعةِ مِنَ الخَيْلِ.....٧٠
الباب الخامس عشر: تَفْضِيلُ القَوِيَّةِ والجَيِّدَةِ مِنَ الخَيْلِ ٧٢
الباب السادس عشر: المسابقةُ بينَ الخيلِ وإعطاءُ الجائزةِ للسابقِ منها ٧٤
الباب السابع عشر: رَفْعُ الزكاةِ عن الخيلِ إنْ كانتْ في حاجةِ الإنسانِ.....٧٦
الباب الثامن عشر: حُكْمُ لحومِ الخَيْلِ.....٧٨
الباب التاسع عشر: هل في الخيلِ شُؤْمٌ؟.....٨٠
الباب العشرون: طرقُ الخَيْلِ وتَخْصِيصُ المسلمِ
بها يَعْدِلُ حَمْلَها في سَبِيلِ اللهِ.....٨٥
الباب الحادي والعشرون: جَوَازُ أَخْذِ الكَرَامَةِ في طَرْقِ الخَيْلِ.....٨٧
الباب الثاني والعشرون: ما جَاءَ في تَكْرِيمِ وتَشْرِيفِ الخيلِ ٨٩
الباب الثالث والعشرون: تَسْمِيَةُ الأُنثى مِنَ الخَيْلِ فَرَسًا.....٩١
الباب الرابع والعشرون: تَكْرِيمُ الخَيْلِ في الدَّارَيْنِ.....٩٢
الباب الخامس والعشرون: مَا جَاءَ في أَفْضَلِ ألوانِ الخيلِ.....٩٥

الباب السادس والعشرون: الدعاءُ لَمَنْ لا يَثْبُتُ على الخَيْلِ، وأن الثباتَ على الدينِ سببٌ للثباتِ على الخَيْلِ ٩٨

الباب السابع والعشرون: تَوْظيفُ النبيِّ ﷺ للخَيْلِ في حَدَثٍ عظيمٍ، وإطلاقُ اسمِهَا على المَفْرَزةِ والسَّرِيَّةِ والجَيْشِ ١٠٠

الباب الثامن والعشرون: قُدْرَةُ الخَيلِ على اسْتِشْعَارِ المَلَائِكةِ ١٠٢

الباب التاسع والعشرون: ما جاء في أكْفالِ الخيل (القطاة) ١٠٦

الباب الثلاثون: الفرسُ عندَ من لا يعلمُ قدْره إضَاعة ١٠٨

الباب الحادي والثلاثون: تشبيهُ نُموِّ الصَّدَقَةِ بُنُموِّ الفُلُوِّ ١١٠

الباب الثاني والثلاثون: يا أهل الخيل احذروا الفخر والخيلاء ١١٢

الباب الثالث والثلاثون: غَلاءُ الخَيْلِ ورخْصُها عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ القيامةِ ١١٤

الباب الرابع والثلاثون: الاستعدادُ (وَأَعِدُّوا) بتربيةِ الخَيْلِ وَرُجُوعُها آخَرَ الزمَّانِ ١١٦

الباب الخامس والثلاثون: الاسْتِمْرَارُ في الاسْتِعْدَادِ، والمُدَاوَمَةِ عَلَيْهِ ١١٩

الباب السادس والثلاثون: القيادة والقائد والمقود ١٢١

الفهرس ١٢٥

هذا الكتاب لماذا؟ ١٢٨

هذا الكتاب لماذا؟

جــاءت أحاديث نبويــة عظيمة وكثيرة عــن الخيل وفضلهــا وألوانها وتخصيص الفرس العربي والعتيق وفرس الرحمن بالذكر عن باقي الخيول وهذه الأحاديث منهــا الحديث الصحيح والحســن والضعيف والموصول والمقطوع.. ونحن بعون الله وتوفيقه سنقتصر خلال هذه الرساله الموسومة **(الأربعون في توصيف خَيل الرحمن)** على الأحاديث الصحيحة والحســنه التي يُحتج بها في شرعنا الحنيف...

جاءت فكــرة الأربعين بعد أن رأيت عالم الخيل وعاشــرته وعاصرته ودرسته بفضل الله ومنته، فوجدت أن أكثر مربي الخيل ـ إلا من رحم الله ـ لهم أهداف بعيدة عن أهداف فرس الرحمن ووقع الخلط وعدم التمييز بينها وبين فرس الإنسان أو فرس الشيطان فجاءت هذه الأحاديث لتوصيف خَيل الرحمن على مراد الرحمن وحتى يكون تقربنا الى الله بحب هذه الخيل على علم وبصيرة..

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فكن منهم يا صاحبي وسارع في ربطها واعقد النية.

والله والموفق والهادي إلى سواء السبيل

المؤلف..